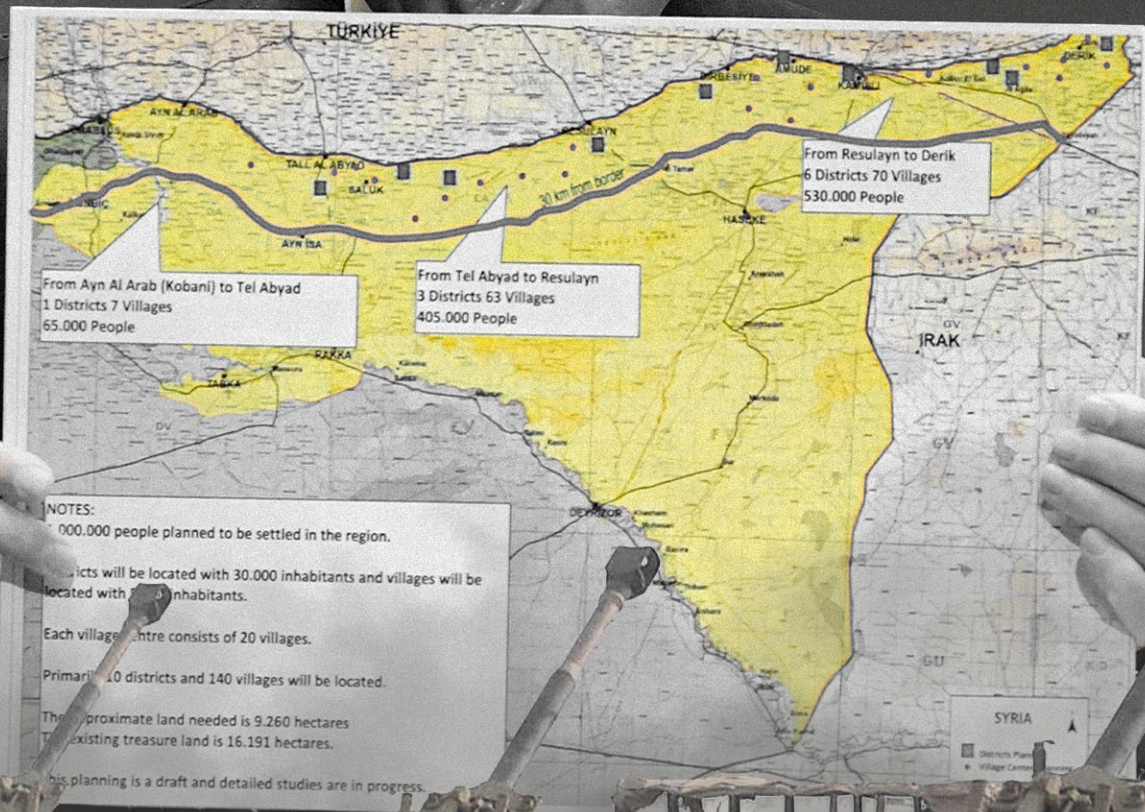


# الغزو التركي لسوريا

## -التداعيات والمخاطر المحتملة-



أعزالدين نوري

كاتب وباحث سوري مختص في الشؤون التركية -السورية  
وزميل في منصة تارجيت الإعلامية



# العملية العسكرية التركية المزمعة الأسباب والتداعيات المحتملة

## المحتويات

2	الظروف والخلفية التاريخية
5	شمال سوريا وخريطة الميثاق الملي
7	اللاجئون السوريون عائق انتخابي
8	منبج ومراحل من السيطرة العسكرية حتى التحرير
10	سجال حول منبج وتهديد تركي
13	تل رفعت في عين العاصفة
15	تل رفعت ومسؤولية موسكو
20	القصف التركي يستهدف الأهالي ومعظم الضحايا أطفال
21	معادلة الأمن القومي المفتوحة
23	رعاية للمسار التصالحي
24	خطر إعادة إحياء "داعش"
27	أسرى داعش والتحديات الأمني
29	التجاهل الغربي للمنطقة أفسح المجال للتهديد التركي
30	أوروبا غير مستعدة لاستقبال أعداد إضافية من المهاجرين
31	المنطقة الآمنة وفق القانون والعرف الدولي
33	المبادرات الأمريكية انحازت لأنقرة
35	تناقض واختلاف بالأولويات
35	زيادة في الحضور الإيراني
37	زيادة في جغرافيا الانتهاكات وعددها
39	المخاطر الأمنية سرديّة من المخيال السياسي التركي
41	مطالبة المجتمع الدولي بحظر جوي
42	مخاطر تعميق الأزمة الاقتصادية
44	لجان تحقيق وقوات مراقبة دولية للحدود



تشهد منطقة الشرق الأوسط وبخاصة الميدان السوري متغيرات متسارعة مع اندلاع الحرب الأوكرانية التي سببت جملة من الأزمات وكانت السبب لحراك سياسي في محاولة لاحتواء تداعياتها المتمثلة بنقص توريد الطاقة والحبوب، وتوسع الناتو وأزمة اللاجئين الأوكران، إلا أن أنقرة انفردت في سلوكها مستغلة الظرف الدولي، بالتهديد لشن عملية عسكرية جديدة شمال سوريا، لتحقيق أهداف احتلالية توسعية، متذرعة بمزاعم سابقة تتعلق بأمنها القومي وإنشاء منطقة آمنة شمال سوريا.

هناك جملة أهداف متداخلة تتطلع أنقرة إلى تحقيقها بالتدريج، لكن التوقيت الانتخابي يحاصر أردوغان والحزب الحاكم، ولذلك يأخذ التوقيت حيزاً مهماً من الهدف، فتركيا في الوقت الراهن تعاني أزمات متعددة المستويات اقتصادياً كارتفاع معدلات التضخم والغلاء المعيشي، بالتوازي مع تراجع حاد لشعبية الرئيس التركي أردوغان والمنظومة الحزبية الحاكمة، الذين يبحثون عن إنجاز نصر خارج الحدود، يتم ترجمته لاحقاً في صناديق الاقتراع، واختير موعد التهديد على إيقاع المدفعية وقصف الطيران الروسي في الميدان الأوكراني، وبعد أيام قليلة من طرح الرئيس التركي مشروع عودة مليون لاجئ سوري من الأراضي التركية، ليسحب هذا الملف الشائك من يد المعارضة التركية.

## مقدمة

تصريحات القادة الأتراك بمحاربة حزب العمال الكردستاني في سوريا، مجرد تبريرات وأجندة سياسية تم التلاعب بمضمونها. فالحزب لن يتم استئصاله كما تزعم أنقرة على الأراضي السورية، لأن أصل وجوده وتأسيسه يتعلق بقضية الكرد في تركيا، وهي مسألة متجذرة وتاريخية، ولا يمكن مقارنتها مع سنوات الأزمة السورية. وتنظر أنقرة بعين الشبهة إلى العلاقة الطبيعية بين الكرد في دول المنطقة وتصنفها في خانة المخاوف الأمنية. والواقع أن تلك العلاقة تاريخية، وكان ترسيم الحدود قبل قرن سبباً مباشراً لانقطاع التواصل المباشر بين أبناء العشيرة الكردية وحتى العائلة الواحدة. ولا تتعامل دول المنطقة مع الحالة الكردية وفق امتداداتها الطبيعية الواقعية، بل وفق منظور أمني، وتحصر الكرد بانتماهم الوطني في الدولة التي يعيشون فيها، وتعزلهم عن الإطار القومي الذي تحكمه عوامل عاطفية فطرية.

وإن كان صحيحاً أن المسألة الأمنية في دول المنطقة تتداخل وهي علاقة تأثير وانتقال، فإن الصحيح أيضاً أن أنقرة أرادت تصدير مشكلتها الداخلية عبر الحدود، ولو أنها توصلت إلى حل للقضية الكردية على أراضيها، لما وصلت الأزمة السورية إلى هذه الدرجة من التعقيد لتتجاوز عقداً من الزمن. وبذلك فإن ذريعة الأمن القومي التركي هي أجندة سياسية وذرائع افتراضية تتحمل أنقرة مسؤولية عدم التصدي لها على أراضيها، والتعويل على الأسلوب العسكري وممارسة القمع والإقصاء السياسي والتهميش الثقافي للكرد. وإذا كانت العناوين التي تطرحها حكومة أنقرة لتبرير تدخلها في سوريا، تفتقر للأدلة القاطعة على التهديد الأمني فإنها تفتقر أيضاً للأساس الأخلاقي القائم على حسن الجوار والسند القانوني بالاحتكام للمرجعية الأممية ومؤسسات الأمم المتحدة.

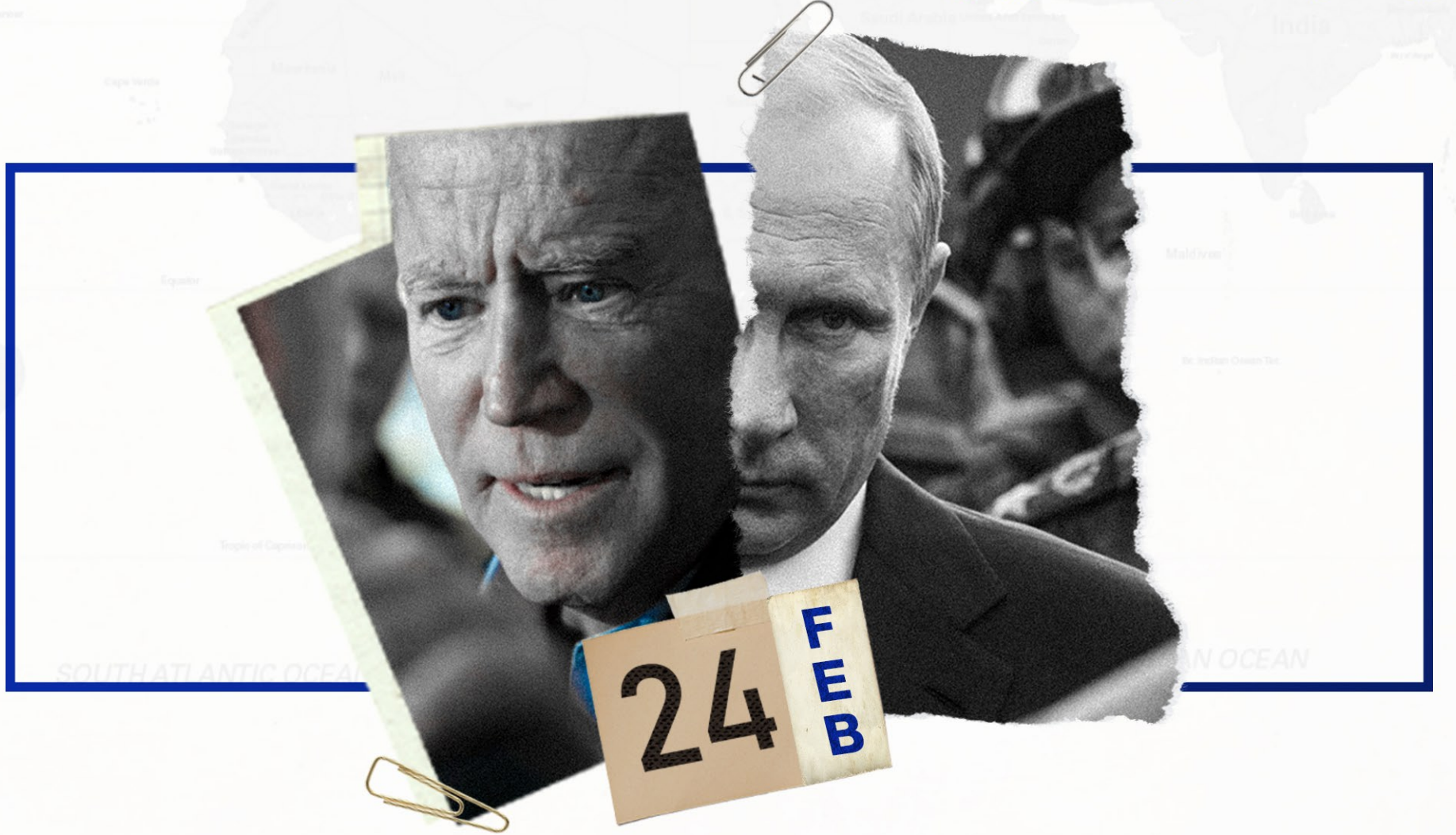
فهم الأجندة التركية لا يحتاج كثير عناء، فالمشهد الحالي في شمال سوريا يؤكد أنقرة سعيها لإنهاء الوجود الكردي على الحدود، عبر العدوان والتغيير الديمغرافي وتوطين شعوب موالية لها على الحدود، وتعدت خطتها احتلال عفرين والتغيير الديمغرافي فيها إلى التضييق على من بقي فيها المواطنين الكرد لتهجيرهم وانتزاع الملكيات من أيديهم وفرض التتريك على تفاصيل الحياة والربط الإداري والاقتصادي، وتسعى اليوم لترحيل أهالي عفرين المهجرين في الشهباء وتل رفعت.



الهدفُ المعلنُ هو إقامةُ "منطقة آمنة" على طول الحدودِ التركيّةِ مع سوريا بعمق 30 كم، ولا مكانَ فيها لقواتِ سوريا الديمقراطية التي خاضتَ حربَ مع "داعش". وبالنظرِ إلى التطابقِ ما بين خريطتي "المنطقة الآمنة" و"الميثاق المليّ" يمكن القول إنّ إقامة "المنطقة الآمنة" عنوانُ لمشروعِ احتلائيٍّ بمزاعم إنسانيّةٍ على أنّها تستهدفُ إعادةَ اللاجئين السوريين، وتتلاعبُ أنقرة في هوة التناقض الدوليّ ما بين الأطلسيّة والأوراسيّة مستغلة أهمية الموقع الجيوبوليتيكيّ لتركيا في معادلاتِ النفوذِ الدوليّة لتنفِذَ خطتها.

ومن جملةِ صور المشهد الحالي، تنفيذ التحالف الدوليّ عملية تصفية للمدعو "ماهر العكّال" الملقب "أبو براء" والذي كان يشغل منصب "والي بلاد الشام" من قبل تنظيم "داعش"، وكان مقيماً في ناحية جنديرس في منطقة عفرين ويسكن منزل مواطن مهجرٍ قسراً، وتؤكد التقارير الإعلامية وجود المئات من عناصر التنظيم في عفرين وسائر المنطقة التي تحتلها تركيا والتي تسميها زرواً "المنطقة الآمنة"، والكثير منهم يشغلون وظائف قياديّة متقدمة في صفوف الفصائل، فهل ترحيل الكرد من منطقتهم وملاحقتهم في جغرافيا النزوح، وتأمين الملاذ الآن لقياديي "داعش" الهاربين يحققُ المعادلة الأمنيّة؟

## الظروف والخلفيّة التاريخيّة



كانت الحربُ الروسيّة في أوكرانيا التي بدأت في 24 شباط الماضي، متغيّراً سياسياً كبيراً تجاوزت نتائجهُ البعدَ الإقليمي، ليكون استمراراً مباشراً للتناقضِ الدوليّ القديم، الذي قسّمَ العالمَ ما بين معسكرين الشرق والغرب، وإن كان الغرب عموماً يتمثلُ بحلفِ الناتو، فإنّ متغيّراً جوهرياً طرأ على حلفِ الشرق فلم يعد اسمه "المعسكر الشيوعي" بعد بدء انقسامِ الاتحادِ السوفييتيّ في 26/9/1991، وأضحى توجّهاً سياسياً يعارضُ محاولاتِ تمددِ الناتو أو استمرار مشروع "الأطلسيّة". وفي سياقٍ مواجهةٍ للمشروع الغربيّ تبنت موسكو المشروع "الأوراسيّ" أو التشبيكِ البريّ.



وبنهاية حلف "وارسو" طرأ تغييرٌ مباشرٌ على دور أنقرة الوظيفي بالمنطقة لصالح الأطلسي، وكان وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة في تركيا في انتخابات 3/11/2002 مؤشراً مهماً للتغيير، وطرح جملة أهداف صاغها على شكل عناوين وشعارات بدأها أحمد داوود أوغلو في كتابه "العمق الاستراتيجي" الذي نشره عام 2001، ثم "العثمانية الجديدة"، و"الميثاق الملي" و"الوطن الأزرق". وهي مصطلحات تتمحور حول فكرة خروج تركيا من إطار حدودها السياسية التي رسمتها اتفاقية لوزان 24/7/1923، ولعب دور محوري إقليمي ودولي.

استغلت أنقرة التناقض ما بين التوجهين الأطلسي والأوراسي، لتمرير أجندتها السياسية، مستندة إلى الثقل النوعي للموقع الجيوبوليتيكي لتركيا، كمعطى أساسي، ووجدت الفرصة التاريخية في انطلاق "الربيع العربي" إذ استغلت حالة الفوضى التي تدرجت عبر مسار "الربيع العربي"، ليتصدر معها الإسلام السياسي الممثل بتنظيم "الإخوان المسلمين" المشهد، وهو توجه سياسي يدين بالولاء التاريخي للدولة العثمانية باعتبارها جسدت في عهدها حالة وحدة الأمة الإسلامية.

مع بدء أحداث تونس كانت حكومة العدالة والتنمية قد أنجزت نموذجها الإسلامي، وبدأت تصديره، وأدركت أنقرة أن وجودها العثماني القديم في المنطقة العربية كان بفضل شعار "الأمة الإسلامية"، وخرجت منها مع تبلور حالة التمايز القومي في البلدان التي تحتلها، وبعد أكثر من سبعة عقود من التقاليد الأتاتورية العلمانية والانقطاع عن العالم العربي والإسلامي، روجت للشعارات الإسلامية، وتحديث علناً عن مشروع "العثمانية الجديدة"، وتلقف الإخوان في البلدان العربية النموذج التركي، وتطلعوا إلى تركيا نموذجاً رائداً للتغيير على مستوى المنطقة، وبذلك دعمت أنقرة قوى الإسلام السياسي الممثلة بتنظيم "الإخوان المسلمين" للوصول إلى السلطة، لتكون بالنتيجة زعيمة كتلة الإسلام "السنّي" في المنطقة.





لا ينفك أردوغان يستدعي التاريخ، لتبرير سياسته، ليقول للأتراك إن وجوده في السلطة ضماناً مواصلة المسار التاريخي للدولة التركية اعتباراً من ماضيها العثماني، ويشكل "الميثاق الملي" الحلقة الانتقالية ما بين الحقبة العثمانية والدولة التركية الحديثة، ويحرص أردوغان على تذكير الأتراك بأمل استعادة ما فقدوه في خريطة "الميثاق الملي" التي تبناها مجلس المبعوثان التركي في 28/1/1920، وهي الوثيقة التي يعتمد عليها اليوم لشرعة التدخل العسكري المباشر في شمال سوريا والعراق، والتي تتضمن أيضاً استعادة تراقيا الغربية وبحر إيجة وشمال قبرص، ويشير أردوغان في مناسبات عديدة إلى المظلومية التي ألحقها الحلفاء بتركيا في اتفاقية لوزان 24/7/1923 وأسفرت عن خريطة محدودة المساحة والإمكانات.



خريطة "الميثاق الملي" التي تبناها مجلس المبعوثان التركي في 28/1/1920

كان التغيير سريعاً في سوريا بالتحويل من المطالب الشعبية العامة إلى تبني شعارات المظلومية المذهبية فانحسر البعد الوطني الجامع للسوريين، وهو ما مكن أنقرة من التدخل في المفصل السوري، والتحكم الكامل بالحراك الشعبي وصياغة شعاراته، وكان تشكيل الفصائل المسلحة بأسماء سلاطين العثمانيين، دليلاً قطعياً على عمق التدخل التركي في الشأن السوري.

ومع بداية التدخل التركي في سوريا قال أردوغان في 13/7/2012: "يسألوننا عن أسباب انشغالنا بسوريا؛ الجواب بسيط للغاية، لأننا بلد تأسس على بقية الدولة العثمانية العلية. نحن أحفاد السلاجقة، نحن أحفاد العثمانيين، نحن على امتداد التاريخ أحفاد أجدادنا الذين ناضلوا". وفي 15/7/2012 قال في مدينة إسكي شهر: "إن حزب العدالة والتنمية يحمل في جذوره العميقة، إرث روح السلاجقة والعثمانيين".

عودة تركيا إلى المنطقة العربية اصطدم بعائق ديمغرافي، هو وجود الكرد على طرفي الحدود، ولذلك كانت أنقرة المحرض الأساسي لاستهداف المناطق الكردية في مرحلة مبكرة من الأزمة السورية، من قبل كل أشكال الفصائل المسلحة، بما فيها تنظيم "داعش"، وكان تحرير "كوباني" ومن بعدها منبج، علامة فارقة في مسار استهداف الكرد وفشل الوكلاء بتنفيذ المهمة.

تسبب التدخل الروسي المباشر في سوريا في 30/9/2015، حرجاً لأنقرة، وتدهورت العلاقات الروسية - التركية بشكل حاد على إثر إسقاط تركيا طائرة روسية من طراز SU-24 في 24/11/2015، وقال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إن الطائرة هوجمت حينما كانت على مسافة كيلومتر داخل الأجواء السورية وحذر من "عواقب وخيمة" لما سماه "طعنة في الظهر" دبرها "المتواطئون مع الإرهابيين". وأضاف: "لن نتهاون أبداً مع جرائم كتلك التي ارتكبت اليوم".

كان عام 2016 مفصلياً بالنسبة للعلاقة الروسية - التركية، التي انتقلت من التضاد إلى التنازع والتخادم، وفي 27/6/2016 ذكر الكرملين أن الرئيس التركي أردوغان اعتذر إلى نظيره الروسي فلاديمير بوتين عن إسقاط القوات التركية الطائرة الروسية، وأضاف الكرملين أن أردوغان دعا لإصلاح العلاقات بين بلاده وروسيا. (3)



وفي 9/8/2016 التقى الرئيس التركي أردوغان بنظيره الروسي فلاديمير بوتين في سان بطرسبرغ، في أول محطة خارجية بعد محاولة الانقلاب في 15/7/2016، ووعدا بإعادة العلاقات بين بلديهما إلى سابق عهدها بعد أزمة دبلوماسية استمرت نحو 9 أشهر، وبدأت مرحلة التنسيق الروسي - التركي أسفرت مباشرة عن احتلال تركيا مدينة جرابلس في 24/8/2016. (4)

وتُعلن مدينة حلب خالية من المسلحين في 22/12/2016، ومن بعدها مدينة الباب استمراراً لعملية "درع الفرات" وفق صيغة (حلب - الباب)، واستطاعت موسكو استقطاب طهران وأنقرة إلى منصة أستانه لتكون إطاراً مشتركاً للتعاطي مع الأزمة السورية، ولكنها أرادت أيضاً منطلقاً في مسار مشروعها الأوراسي في التنسيق السياسي والاقتصادي. وفي إطار أستانه ابتدعت موسكو "مناطق خفض التصعيد"، وأنشأت أنقرة بصفتها طرفاً ضامناً العديد من نقاط المراقبة في محافظة إدلب وريف حلب الغربي.

تضمنت الخطة الروسية في سوريا جميع كل عوامل الأزمة السورية في المناطق الشمالية، وتحجيم الوجود العسكري لمختلف الأطراف في سوريا، فكان العدوان على عفرين بعملية سمّتها أنقرة "غصن الزيتون" ثمناً مباشراً لإنهاء وجود الفصائل المسلحة بريف دمشق، وتوسيع الإطار الآمن حول العاصمة. وأما الاحتلال التركي لمدينتي تل أبيب ورأس العين / سري كانيه، بعملية "درع السلام" فهو يندرج في إطار تحجيم الوجود الأمريكي.

## شمال سوريا وخريطة الميثاق الملي



بعد فشل مشروع الإسلام السياسي المتمثل بتمكين وصول "الإخوان" المسلمين إلى السلطة في مصر وتونس، والذي بدأ في مصر بالإطاحة بالرئيس محمد مرسي في 3/7/2013 والمطبات التي وقع فيها حزب النهضة في تونس وصولاً إلى قرار الرئيس قيس سعيد في 25/7/2021 إقالة الحكومة وحل البرلمان ومجلس القضاء، وغيرها. ولتكون آخر خطوات تصويب المسار الاستفتاء على الدستور الجديد لتونس في 26/7/2022. كان المشروع التركي البديل الانتقال من "العثمانية الجديدة" إلى "الميثاق الملي"، وأشار أردوغان في أكثر من مناسبة أن سبب تدخله في سوريا والعراق هو حق مشروع اكتسبه بفضل "الميثاق الملي". المرة الأولى التي أشار فيها الرئيس التركي إلى "الميثاق الملي" كانت في 19/10/2016، لدى بدء معركة تحرير الموصل في حملة قادتها الولايات المتحدة الأمريكية لتحرير مدينة الموصل شمال العراق من تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وأستبعدت منها تركيا، فقال: "إن نعيش الأحداث في سوريا والعراق، فإن الجيل الجديد يجب أن يعرف جيداً شيئاً؛ عجباً ما هو "الميثاق الملي"، يجب أن نعرف هذا جيداً.



إذا درسنا "الميثاق المّلي" وإذا فهمنا الميثاق المّلي فإننا نفهم جيّداً مسؤوليتنا في سوريا والعراق، وإذا كنّا نقول علينا مسؤولية في الموصل، فمن أجل ذلك علينا أن نكون على الطاولة وفي الميدان، ولهذا هناك سبب. للأسف لم نستطع أن نحمي ميثاقنا المّلي على حدودنا الغربيّة أو الجنوبيّة. هم أرادوا أن يحبسونا داخل قشرة، وهذا المفهوم نحن نرفضه. هم يريدون منذ عام 1923 أن يحبسونا في هذا المفهوم من أجل أن يجعلونا ننسى ماضيّنا السلجوقي والعثمانيّ.

وفي مناسبة أخرى قال: "إذا تأملنا جيّداً في التطورات في سوريا والعراق هناك شيء أريد أن أقوله، نحن يتحتم علينا أن نكون من جديد أصحاب الميثاق المّلي". (5)

في مؤتمر القانون الدوليّ المنعقد بإسطنبول في 22/10/2016، جدد أردوغان الرد على استبعاد تركيا من المشاركة بتحرير الموصل بالقول: «في الموصل التاريخُ يكذبُ علينا.. وإذا رغب السادة الأفاضل (يقصد الحكومة العراقيّة) في التحقق من ذلك فعليهم بقراءة الميثاق المّلي ليفهموا معنى الموصل بالنسبة لنا»، مؤكداً على أن الجيش التركي سيشارك في عمليات تحرير المدينة. مؤكداً على أن الجيش التركي سيشارك في عمليات تحرير المدينة. (6)

في 11/1/2018 قال أردوغان: "إنّ شمال سوريا كان ضمن حدود الميثاق المّلي، ولن نسمح بقيام كيان إرهابيّ هناك". وفي 24/1/2018 قال: "لا تنسوا حساسيتنا تجاه حدود الميثاق المّلي. حدود الميثاق هي حيث يوجد الآن الإرهاب في شمال سوريا وشمال العراق.

في 7/1/2019، تحدث وزير الداخليّة التركيّ سليمان صويلو في مقابلة تلفزيونيّة مع قناة "خبر تورك" عن منطقة الميثاق المّلي في معرض حديثه عن اللاجئين السوريين في تركيا وعن الأزمة السوريّة، فقال: "إنّ 62% من اللاجئين السوريين في تركيا جاؤوا من أراضي حدود الميثاق المّلي. وفي معركة "جناق قلعه" سقط 1102 شهيد من سوريا. ومنذ عام 2011 قدّمت تلك الأراضي من أجل بلادهم 71 ألفاً و923 شهيد. ولا يمكن بعد هذا أن نقول ما الذي يفعلونه هنا". (8)

في 16/9/2018 تحدث أردوغان إلى صحفيين أترك في طريق عودته من باكو عاصمة أذربيجان، وقال: "نحن لا نعترف بالنظام السوريّ ونحن لا نعترف بالدولة السوريّة. إذا كانت بعض القوى تقول إنّها في سوريا بناءً لدعوة النظام فنحن هناك بناءً لدعوة الشعب السوريّ. وفي إدلب لا يحمل الناس الأعلام الروسيّة ولا الأمريكيّة بل التركيّة

قال الناطق باسم الرئاسة التركيّة، إبراهيم كالين، في 25/12/2019: "إنّ الذي يعرف تاريخ تركيا الحديث جيداً يدرك بوضوح وبدقّة أنّ أمن تركيا يبدأ من خلف حدود الميثاق المّلي. ونحن يتحتم علينا أن نرسم خطأ أكثر اتساعاً لحزامنا الأمنيّ؛ لذلك نحن نهتم بليبيا".

وفي 30 كانون الأول 2019 قال إبراهيم كالين لصحيفة يني شفق: "في عصر العولمة يبدأ الأمن القوميّ التركيّ من وراء حدود الميثاق المّلي. قد تبدو ليبيا بعيدة؛ والقول إنّ أيّ شأن في ليبيا يعكس نظرة ضيقة للغير". في 7/3/2019 قال وزير الداخليّة التركيّ سليمان صويلو إنّ "دمشق وحلب كانتا ضمن حدود أمتنا التي أعلنها المجلس العمومي العثمانيّ". (9)



في مطلع شباط 2020 انتقد زعيم حزب الشعب الجمهوري كمال كيليتشدار أوغلو وجود تركيا في سوريا بعد سقوط جنود أتراك قتلى في إدلب قائلاً: "أي شأن لنا هناك؟"، فردّ عليه أردوغان في 5 شباط رابطاً الوجود التركي في سوريا بحدود الميثاق المّلي ويقول: «هل يعرف كيليتشدار أوغلو أن توقيع مصطفى كمال موجود على الميثاق المّلي». في 15/2/2020 قال أردوغان: "إننا مستعدون للموت على هذا الطريق في إدلب، وسوف يتحوّل النظام بضربة واحدة إلى جثة".

في 23/7/2020، زار الرئيس التركي أردوغان، ضريح مؤسس الجمهورية التركية مصطفى كمال أتاتورك، في العاصمة أنقرة، برفقة أعضاء مجلس الشورى العسكري الأعلى، قبيل اجتماع في المجمع الرئاسي. وكتب أردوغان في سجل الزيارات ما يلي: "أتاتورك العزيز، نحن أعضاء هذا المجلس نقف أمام ضريحك بمناسبة اجتماع مجلس الشورى العسكري الأعلى لعام 2020. حيث نواصل العمل من أجل تحقيق الأهداف المنشودة لعام 2023 للجمهورية التركية التي أسستموها وأوكلتموها لنا. وأضاف "إن الإنجازات التاريخية التي حققناها على جبهات مختلفة بدء من سوريا وليبيا ووصولاً إلى شرق البحر المتوسط ومكافحة الإرهاب تظهر بوضوح قوة بلدنا وقدرات جيشنا". (10)

## اللاجئون السوريون عائق انتخابي

توقّعت التهديد التركي بعملية عسكرية جديدة في سوريا، مهم جداً ولا يتعلق أبداً بالأمن القومي التركي، بل إن تركيا لم تتعرض طيلة سنوات الأزمة السورية لأي خطر جدّي، وفيما أرادت أنقرة تصدير أزمتها الداخلية واستثمار عوامل الأزمة السورية لصالحها، انبثقت مشكلة اللاجئين السوريين على أراضيها فاستثمرتها في أكثر من صعيد، وأن الأوان لتصفيتها، والمشروع السكني الذي أعلنه أردوغان هو إعادة المشكلة إلى سوريا، وجعل ذلك إنجازاً تحصد عوائده في صناديق الانتخابات القادمة، مع إعادة صياغة التركيبة السكانية على الحدود، وسيفعل أردوغان أي شيء في صراع البقاء. في هذه المرحلة حكومة العدالة والتنمية ورئيسها محاصران بشدة بالزمن الانتخابي وملفات الأزمة الاقتصادية والمالية وانهيار قيمة صرف الليرة التركية والغلاء المعيشي، والفساد الإداري ما انعكس مباشرة على تراجع شعبية الحزب الحاكم، بالمقابل تستغل المعارضة التركية تلك الملفات للدخول إلى مضمار السباق الانتخابي القادم، وفي جعبتها انتصار سابق أنجزته في 31/3/2019، يوم أنتزعت البلديات الكبرى من الحزب الحاكم وفي مقدمها مدينة إسطنبول الخزّان الانتخابي الكبير برصيد يزيد عن 10 ملايين صوت،



اللاجئون  
السوريون



إضافة إلى مدن أنقرة وإزمير وإيطاليا، وكان حزب العدالة أمام مهمةٍ عسيرةٍ طيلة السنوات الثلاث الماضية تتمثل بترميم شعبيته، وجاءت أزمة اللاجئين السوريين وارتفاع منسوب خطاب الكراهية وحوادث العنف لتزيد من وطأة الأعباء والضغط عليه، فكان البحث عن إنجاز خارج الحدود، بالترويج لخطة إعادة السوريين أولاً، ثم العملية العسكرية لإنشاء ما يسمّى "المنطقة الآمنة" لتأمين عودة اللاجئين.

مشكلة اللاجئين السوريين أضحت ملفاً ضاغطاً، وتحاول حكومة العدالة والتنمية حلها، لتسحب الملف من يد المعارضة، وتحقق إنجازاً في سياق التحضير لانتخابات حزيران 2023 وهذا مضمون الخطة التي أعلنها أردوغان في 3/5/2022 إعادة مليون سوري، والمنطقة الآمنة بالنسبة لأنقرة هي تماماً المنطقة التي تحتلها، والتي لا وجود للكرد فيها.

وطبيعي أن المناطق المزمع استهدافها بالغزو الجديد تُستكمل بها عمليات الربط الجغرافي بين المناطق التي احتلتها تركيا سابقاً، وعلى هذا الأساس سعى الرئيس التركي أردوغان، للحصول على الضوء الأخضر من القوى الدولية الأساسية في سوريا.

وإذا كانت أنقرة تزعم أنها بصدد إيجاد حل لمشكلة اللاجئين على أراضيها، إلا أن العدوان إن حصل فستكون له تداعيات كارثية، لا تقتصر على المستوى المحلي أو الإقليمي بل حتى الدولي، وتنعكس آثاره مباشرة على الأمن والسلم الدوليين. وسيتسبب بموجات نزوح جديدة، ويشجع على الهجرة إلى أوروبا، ويتيح الفرصة لتسلل عناصر خطرة إلى دول العالم ويعمّق الأزمة السورية ويطيل أمدها.

ووفق المعطيات الحالية، فإن أيّ عدوانٍ يحتمل أن يتحول إلى مغامرة خطيرة، قد تنعكس ارتداداتها إلى داخل تركيا، بانتقال عناصر متطرفة محتجزة في سوريا إلى تركيا وتسبب بموجات عنف وردود فعل انتقامية، لتزيد من حدة الأزمات الداخلية.

## منهج ومراحل من السيطرة العسكرية حتى التحرير



تقع منبج في شمال شرق محافظة حلب، على بعد 80 كم عن مدينة حلب و30 كم غرب نهر الفرات وكان عدد سكانها يتجاوز 120 ألف نسمة، وازداد عددهم بعد طرد عناصر "داعش" من المدينة، واستعادة الأمن والاستقرار. وتتعدد مكونات المدينة من عرب وكرد ونظراً لموقعها في مثلث تتعدد فيه السيطرة العسكرية، فقد أضحت مركزاً مهماً للتبادل التجاري بين مناطق الإدارة الذاتية والحكومة السورية والاحتلال التركي، أي صلة الوصل بين شمال سوريا ومناطق الداخل، ورغم وقوعها غرب الفرات إلا أنها نهاية امتداد مناطق الوجود الأمريكي في شمال وشرق سوريا. وبذلك اكتسبت أهمية استراتيجية مضاعفة وكانت محل التنافس.



خضعت منبج لسيطرة "الجيش الحر" في 19 تموز 2012، وفشلت كل المحاولات لتشكيل مجالس محلية تدير شؤون المدينة بسبب الخلافات الفصائلية، والتي تعاطت مع المسألة وفق مبدأ تقاسم السيطرة. حتى سيطر داعش على المدينة في كانون الثاني 2014، وأذاق أهلها أسوأ العذابات، وشهدت ساحاتها مواقف الجلد وقطع الرؤوس مراراً، وكذلك كان حال القرى القريبة منها.

وأضحت المدينة حلقة وصل هامة لعناصر "داعش" في حلب والرقعة وعينتاب واتخذ من منبج مركز إمداد وتموين ومكاناً آمناً لإقامة قادته، وقاعدة استقبال "الجهاديين الأجانب" القادمين عبر الأراضي التركية، وباتت عاصمة "المهاجرين"، ووصفتها صحيفة التلغراف البريطانية 11/1/2016 بأنها "لندن المصغرة" التي تم اجتياحها بمقاتلي داعش البريطانيين وعائلاتهم. إضافة لكونها نقطة الوصل الجغرافي مع مدينة الموصل، وكان ابن شقيق أبو بكر البغدادي يدير المدينة. (11)

وصف المتحدث العسكري الأمريكي في العراق، الكولونيل كريس غارفر، في 27/7/2016، منبج بأنها "منطقة استقبال رئيسية للمقاتلين الأجانب عند وصولهم إلى سوريا"، لافتاً إلى أنه "عندما يدخل المقاتلون الأجانب، يقومون بفحصهم ومعرفة اللغات التي يتحدثونها كما يتم تكليفهم بمهام ثم إرسالهم إلى المكان الذي سيذهبون إليه سواء كان في سوريا أو العراق". وفق التقارير. (12)

في 2/4/2016 أعلنت سبعة فصائل عسكرية تشكيل المجلس العسكري لمنبج وريفها، وبدأت معارك تحرير منبج في 31/5/2016 بمشاركة ائتلاف قوى عسكرية من سوريين في مقدمهم أهل منبج، ومعهم الكرد، فيما ضم "داعش" جهاديين من جنسيات متعددة حول العالم ومن دول عربية، واستمرت المعارك 73 يوماً، وانهزم "داعش" وقتل نحو 1400 من عناصره، واتخذ في انسحابه من ألفي مواطن دروعاً بشرية ليخرج من المدينة، وأعلن تحرير منبج في 12/8/2016. (13)

THE TIMES

## Niqabs cast off as Isis is driven out



A girl rips of her niqab after she was evacuated from Manbij, an Islamic State-controlled neighbourhood of Manbij

نشرت صحيفة التايمز البريطانية، في 14/8/2016 مقالاً بعنوان "إلقاء النقاب بعد طرد داعش"، وجاء فيه: في المشاهد التي تمثل هزيمة مدمرة لداعش، أحرقت النساء حجابهن وحلق الرجال لحاهم بعد تحرير بلداتهم مما يسمّى بالخلافة الأسبوع الماضي. وتمثل السيطرة على منبج، وهي بلدة تجارية سورية احتلها داعش لأكثر من عامين، نقطة تحول في الحرب، حيث قدمت صور لأشخاص يحتفلون بتحررهم من الهمجية رمزاً قوياً لساحة معركة الأفكار. وأشعلت النساء السجائر، وهو نشاط كان من الممكن أن يعاقب عليه بقطع اليد أثناء الاحتلال. وبعضهن مزقن نقابهن الأسود وأشعلن النار بهن في تحدٍّ أكبر كان من الممكن أن يقتلن من أجله. (14)



في تأكيدٍ على أهمية مدينة منبج والأخطار التي تهدد أوروبا قالت صحيفة التايمز في اليوم التالي للتحرير: إن "داعش تفقد طريقها الرئيسي إلى أوروبا مع استعادة بلدة حدودية" وأشارت الصحيفة إلى قطع طريق الجهاديين إلى أوروبا. (15)

واتجه عناصر داعش إلى مدينة جرابلس، التي احتلتها القوات التركية في 24/8/2016، خلال يوم واحد، وكان ذلك أحد أهم الأفضية لانضمام عناصر "داعش" إلى صفوف الفصائل الموالية لأنقرة، بنقل البندقية من كتف أخرى وحلق اللحى وتغيير اللباس، أي بمجرد الشكل، فيما بقي الهدف هو نفسه.

في 16/11/2016، أصدرت وحدات حماية الشعب بياناً قالت فيه إنها ستسحب قواتها من مدينة منبج إلى شرق نهر الفرات للمشاركة في حملة تحرير مدينة الرقة معقل "داعش". ووصف المبعوث الأمريكي الخاص بريت مكجيك هذه الخطوة بأنها "حدث مهم". (16)

إدارياً، أعلن بالتزامن مع بدء عملية تحرير مدينة منبج في 5/6/2016 تشكيل المجلس التأسيسي في منبج تحت شعار "لنجعل من منبج نموذجاً للعيش المشترك"، بمشاركة 43 شخصية تمثل كل المكونات. وأكد بيان التأسيس أن هدف المجلس بناء نظام ديمقراطي تعددي يمثل كافة المكونات والسعي للوصول إلى نظام سياسي لا مركزي وترسيخ مبدأ العدالة الاجتماعية والمساواة والعمل على دحر "داعش" وترميم آثار دماره الفكرية والبنوية في المجتمع. وتفعيل دور المرأة وإعادة المهجرين إلى ديارهم.

ومع إعلان التحرير الكامل للمدينة، كان الهيكل التنظيمي لمجلس منبج وريفها المدني جاهزاً لبدء العمل، وتشكلت تبعاً مجالس الأحياء وبلغ عددها 403، لتنظيم الخدمات وإزالة مخلفات الحرب من شوارع وأحياء المدينة.

## سجل حول منبج وتهديد تركي

في 28/5/2018 قالت وكالة الأناضول التركية الرسمية للأنباء إن تركيا وأمريكا توصلتا لاتفاق على خطة لسحب وحدات حماية الشعب من مدينة منبج، وأضافت الوكالة أنه بموجب شروط الخطة المؤلفة من ثلاث خطوات والتي ستستكمل خلال زيارة وزير الخارجية التركي مولود تشاوش أوغلو لواشنطن يوم 4/6/2018 ستسحب وحدات حماية الشعب من منبج بعد 30 يوماً من توقيع الاتفاق. وقالت الوكالة: إن القوات التركية والأمريكية ستبدأ عملية إشراف مشتركة في منبج بعد 45 يوماً من توقيع الاتفاق وستشكل إدارة محلية في غضون 60 يوماً اعتباراً من 4/6/2018.

ورد المتحدث باسم مجلس منبج العسكري شرفان درويش، على ما أوردته الوكالة: "تركيا وتصريحاتها تدخل في سياق ممارسة ضغوط وخلق بلبلة في منبج وضرب الاستقرار فيها"، وأضاف "حسب معلوماتي لا اتفاق حتى الآن بين أمريكا وتركيا وإنما هناك مفاوضات".

أعلنت الولايات المتحدة وتركيا في بيان مشترك في 4/6/2018 توقيع خريطة طريق بشأن الوضع في مدينة منبج شمال سوريا وتضمن الاتفاق تنظيم دوريات مشتركة أمريكية-تركية في محيط منبج. وفي 5/6/2018، أعلنت وحدات حماية الشعب سحب ما تبقى من مستشاريها العسكريين الموجودين في منبج. (17)

وفي 6/6/2018 أكد قائد مجلس منبج العسكري محمد مصطفى أبو عادل لوكالة الأنباء الفرنسية أن مجلس منبج العسكري تلقى ضمانات ببقاء قوات التحالف الدولي بقيادة أمريكية في المدينة. (18)



في 18/6/2018 بدأت القوات الأمريكية والجيش التركي بتنفيذ الاتفاق العسكري بين الجانبين حول مدينة منبج، بالانتشار حول محاور التماس في المنطقة الفاصلة بين مناطق سيطرة مجلس منبج العسكري وفصائل "درع الفرات" المدعومة من تركيا. وقال أردوغان في اليوم نفسه، إن مقاتلين من وحدات حماية الشعب الكردية يغادرون منطقة منبج بشمال سوريا.

وفي 15/7/2018 أصدر مجلس منبج العسكري بياناً قالت فيه إن: "الدفعة الأخيرة من المستشارين العسكريين في وحدات حماية الشعب قد أكملت انسحابها، وذلك بعد أن أنهت مهمتها في التدريب والتأهيل العسكري لقواتنا، بالاتفاق مع التحالف الدولي". وأصدرت الرئاسة التركية بياناً قالت فيه إن "الرئيس أردوغان أجرى مكالمة هاتفية اليوم مع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ناقشا خلالها أهمية تطبيق خارطة الطريق المشتركة في منبج السورية".

في اليوم التالي شككت أنقرة بالانسحاب الكامل، ولكنها أشارت إلى استمرار عملية الانسحاب، وقال الناطق باسم الخارجية التركية حامي أقصوي في بيان، إن "الأنباء المتعلقة بانسحاب وحدات حماية الشعب من منبج مبالغ فيها، ولا تعبر عن الحقيقة" (19)

في 28/9/2018 نقلت صحيفة حرييت التركية، عن الرئيس أردوغان قوله للصحفيين بعد زيارته الأخيرة لنيويورك لحضور اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة "لم تلتزم الولايات المتحدة بكل تأكيد بالجدول الزمني المتفق عليه في خارطة الطريق الخاصة بمنبج ولم تغادر وحدات حماية الشعب المنطقة. أصحاب الأرض الحقيقيون لم يستقروا فيها بعد". وتابع "الولايات المتحدة لم تف بتعهداتها". (20)، وفي 14/12/2018 هدد الرئيس التركي أردوغان مجدداً بدخول المدينة.

وكان ترامب قد قال بصورة مفاجئة، في مكالمة مع نظيره التركي: "أتعلم؟ المنطقة لك.. سأغادر"، ولم يكلف نفسه عناء إخبار المسؤولين في إدارته بذلك القرار المفاجئ، بل علم الجميع بقرار الانسحاب عبر تغريدة نشرها في حسابه على تويتر في وقت مبكر من يوم الأربعاء 19 ديسمبر 2018. وفي اليوم التالي جلس ماتيس بمكتبه في البنتاغون وشاهد شريط الفيديو الذي استمر لمدة دقيقة و91 ثانية، والذي أعلن فيه ترامب النصر على "داعش" وأن القوات الأمريكية يجب أن تعود للوطن، ثم غادر في الساعة 03:30 ممسكاً بخطاب استقالته، وقبل المغادرة أمر بنسخ الخطاب وتوزيعه على كبار الموظفين ووسائل الإعلام.

وأحدثت استقالة وزير الدفاع السابق جيم ماتيس والمبعوث الأمريكي إلى التحالف الدولي بريت ماكغورك هزة كبيرة في الأوساط الأمنية والعسكرية بواشنطن، حيث دار الحديث عن مصير الولايات المتحدة في ظل قرارات ترامب المتهورة، وتعامله المضطرب مع الملف السوري، والذي كلفه أكبر عدد من أعضاء حكومته، وفقدان الحلفاء الثقة بسياسات الولايات المتحدة في المنطقة، خاصة وأن قرارات ترامب ال تتفق مع تلك التي يفضلها كبار الضباط العسكريين ومجلس وزرائه وموظفي الأمن القومي في سوريا، إذ يميل هؤلاء إلى المكث لفترة كافية تضمن عدم عودة "تنظيم الدولة" ومنع انتشار النفوذ الإيراني. (21)

في 26/12/2018 نشرت صحيفة ديفنس ون مقالاً بعنوان "الكرد تعرضوا للخيانة مرة أخرى من قبل واشنطن"، جاء فيه: "الخوف من الخيانة من قبل القوى المتفوقة مكتوب في الحمض النووي للأكراد. بولادتهم كأحد أكبر شعوب العالم بلا دولة من حطام الإمبراطورية العثمانية مستمدة من الوعد المنقذ من قبل المنتصرين في الحرب العالمية الأولى، أو هكذا يراها الكرد. انقسموا على أربع دول - تركيا وإيران والعراق وسوريا - منذ ذلك الحين، قاتلوا وماتوا بحثاً عن الحرية والقومية. وثبت أن نجاحاتهم لم تدم طويلاً. في كل مرة، كان الفراغ الذي استغلوه يختفي. تخلص عنهم الحلفاء الأقوياء الذين اعتقدوا أنهم يستطيعون الاعتماد على دعمهم". (22)



وفي 24/12/2018 أرسلت أنقرة تعزيزات عسكرية إضافية إلى حدودها مع سوريا استعداداً لعملية عسكرية، وتباينت المعلومات بين وسائل الإعلام التركية، بين وجود هذه القوات على الحدود ضمن الأراضي التركية أو تجاوزها الحدود وكذلك وجهتها إلى مشارف منبج أو توجهها إلى الباب وجرابلس، وفي اليوم نفسه، قال المتحدث باسم ما يسمى "الجيش الحر" المدعو "يوسف الحمود" أنهم عززوا قواتهم قرب منبج استعداداً للمعركة التي ستبدأ قريباً، حسب تعبيره، ولم يستطع تحديد موعد لبدء العمليات العسكرية لأن القرار يخضع لحسابات دولية تتجاوز صلاحيات "الفصائل السورية".

ونقلت وكالة سبوتنيك الروسية في 29/12/2018 عن المتحدث الرسمي باسم الرئاسة الروسية، ديمتري بيسكوف، قوله: "إن المعلومات حول سيطرة الجيش السوري على مدينة منبج "صحيحة". وجاء التصريح عقب إعلان الجيش السوري، نشر قواته في منبج الجمعة 28/12/2018. (23)

في 23/3/2019 كان المشهد الأخير لانتها ما يسمى الخلافة المكانية لداعش، وكانت بلدة الباغوز القريبة من الحدود العراقية مسرح الحدث، وفي رد انتقامي من جانب نفذ ليل الاثنين- الثلاثاء -25-26 آذار، تفجيراً استهدف حاجزاً لمجلس منبج العسكري، ما أودى بحياة 7 من مقاتلي المجلس. (24)

في 9/10/2019 بدأ الجيش التركي ومعه الفصائل المسلحة السورية عملية عسكرية باسم "نزع السلام" في منطقتي تل أبيض ورأس العين، ورفعت أنقرة سقف التهديدات. وفي مواجهة التهديدات تم برعاية روسية التوصل إلى اتفاق يقضي بنشر قوات الحكومة السورية في عدة مناطق مستهدفة بالتهديدات.

في 14/10/2019 نقلت وكالة فرانس 24، خبر انتشار قوات من الجيش السوري في مدينة منبج، بالتزامن مع عملية العملية العسكرية التركية في تل أبيض ورأس العين، وفي ظل إعلان القوات الأمريكية تلقيها أوامر بالانسحاب الكامل من شمال سوريا، ووسط أنباء عن اعتزام فرنسا الانسحاب من التحالف ضد تنظيم "الدولة الإسلامية" في تلك المنطقة. ونقلت الصحافة التركية، الأربعاء 16/10/2019، عن أردوغان قوله إن عودة قوات النظام إلى منبج ليست حدثاً "سلبياً جداً"، معتبراً أن المهم هو "خروج وحدات حماية الشعب الكردية منها".

في 17/10/2019 تم في أنقرة التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار بين نائب الرئيس الأمريكي مايك بنس والرئيس التركي، واستجابت واشنطن للمطالب التركية، وأشاد بها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالاتفاقية، وقال إنها ستنقذ "ملايين الأرواح"، وذكر بيان أمريكي-تركي مشترك عقب المحادثات "أن القوات المسلحة التركية ستتولى إقامة المنطقة الآمنة". وتضمن الاتفاق التزام تركيا والولايات المتحدة بمحاربة أنشطة داعش في شمال شرق سوريا، وأن يشمل ذلك التنسيق بشأن مرافق الاحتجاز والمشردين داخلياً من المناطق التي كان يسيطر عليها داعش / قبل ذلك، حسب ما يقتضيه الوضع. (25)

وعلق وزير الخارجية التركي على الاتفاق بقوله: (26)

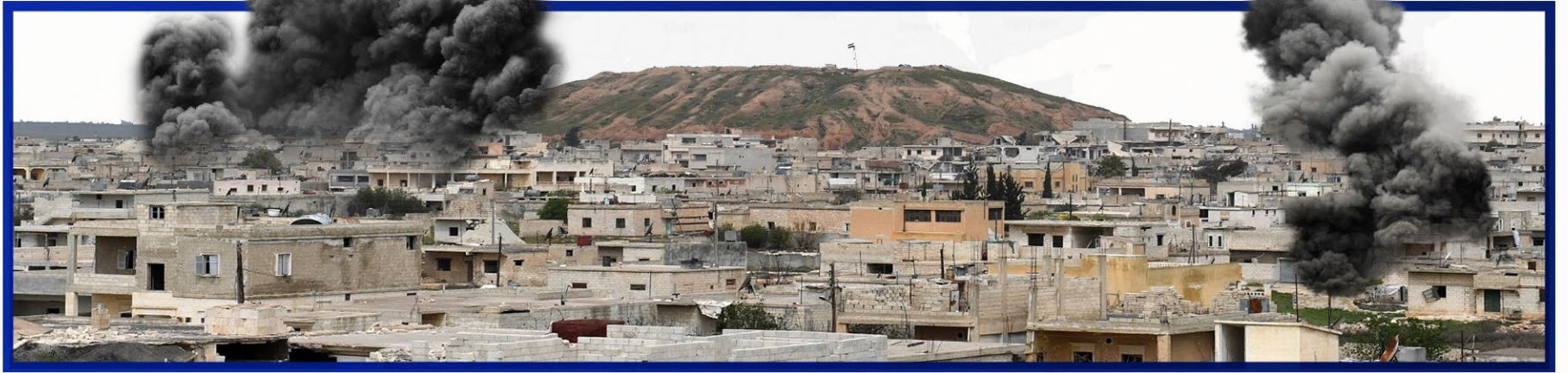
**تعليق العملية لا يعني انسحاب جنودنا وقواتنا من المنطقة فنحن سنواصل التواجد فيها". وأضاف: "أخذنا ما نريده في مفاوضات اليوم".**



في 23/10/2019 عقد في سوتشي اتفاق بين الرئيس الروسي بوتين والتركّي أردوغان، وبموجبه تم تثبيت السيطرة التركّية على المنطقة الواقعة ما بين مدينتي تل أبيض ورأس العين بالإبقاء على الأوضاع التي أسفرت عنها العملية العسكريّة التركّية. وتضمن الاتفاق نشر أفراد الشرطة العسكريّة الروسيّة، وحرس الحدود السوريّ على الجانب السوريّ من الحدود مع تركيا، باستثناء المنطقة التي شملتها العملية العسكريّة التركّية. وأن يتم نقل عناصر وحدات حماية الشعب وأسلحتهم من منبج وتل رفعت. وأن تبدأ بعد تاريخ 29/10/2019 القوات التركّية والروسيّة دورياتها المشتركة إلى الشرق والغرب من المنطقة التي شملتها العملية التركّية. (27)

وبذلك لم تتوقف أنقرة عن التهديد بدخول المدينة وقصف القرى، رغم انتشار وحدات عسكريّة تابعة للجيش السوريّ في نقاط في محيط المدينة وفق توافق مع موسكو لسحب ذرائع الحرب، إلا أنّ أنقرة لم تتوقف عن الحديث بلغة طائفية مستخدمة أدواتها، وتحريض مكونات المدينة وتأييدها ضد بعضها، وقد وقعت حوادث أمنية، إلا أنّه سرعان ما كان يتم احتوائها، فالمزاج العام في المدينة ينجح إجمالاً إلى المسالمة وتغليب السلم الأهليّ والحفاظ على أمن المدينة.

## — تل رفعت في عين العاصفة



تقع بلدة تل رفعت في مثلث جغرافيّ تتوزع فيه قوات الدول الضامنة في أستانه، إضافة للوجود الكرديّ المتمثل بمهجري عفرين، ويتجاوز عددهم في هذه المنطقة الجغرافية المعروفة بالشهباء مئة ألف نسمة، وتتوزع نقاط مراقبة روسية، وسط انتشار وحدات الجيش السوريّ إضافة لقوات إيرانية وأخرى محلية موالية لها، على طول خطوط التماس مع القوات التركّية وفصائلها المسلحة.

تشكّل تل رفعت مع الخط الممتد من بلدتي نبل والزهراء وصولاً إلى ريف الباب ومنبج، جزءاً مهماً من السوار المحيط بمدينة حلب، وهي منطقة استراتيجية لإيران وروسيا، وتركيا معاً، وتبعد البلدة عن الحدود التركّية نحو 20 كم، وتفصلها عنها عدة بلدات من أهمها بلدة مارع، وتحاول روسيا إعادة فتح الطرق التجاريّة والسيطرة على معبر باب السلام في أعزاز، ويشكّل طريق غازي عينتاب — حلب أهمية قصوى لها، فيما تسعى إيران للحفاظ على نفوذها في بلدتي نبل والزهراء باعتبارهما نقطة ارتكاز لها.

ما يمكن قوله، إنّ مع تباين مصالح ثلاثي أستانه في ريف حلب الشمالي وإدلب، وانفتاحها على احتمالات التوافق والتعارض، إلا أنّ المنطقة بالنسبة لأهالي عفرين هي جغرافيا التهجير القسريّ، ريثما تتحقق شروط العودة الآمنة إلى بلداتهم وقراهم. والتهديد التركيّ بعملية عسكريّة بالمنطقة ومواصلة العمل على استثمار عوامل الاحتقان وزجّ الفصائل الموالية لها في معركة جديدة، يستهدف تضييع قضية عفرين وعودة الأهالي، وأما ميدانياً فهو الوصل الجغرافيّ بين مناطق شمال سوريا اعتباراً من محافظة إدلب حيث تسيطر "هيئة تحرير الشام / جبهة النصرة سابقاً" المصنفة تنظيمياً إرهابياً،



ومحاولة تعويمها، حتى منطقة منبج أي استكمال السيطرة على مناطق الشريط الحدودي بعمق يتجاوز 30 كم.

وتنطوي العملية على تهديد بالوصول إلى مشارف مدينة حلب العاصمة الاقتصادية للبلاد، وإعادة الوضع إلى ما كان عليه عام 2016، والإطاحة بكلّ المساعي التي بذلتها الحكومة السورية وحليفاها روسيا وإيران. ولذلك فإنّه رغم التنسيق بين أطراف أستانه (روسيا وتركيا وإيران)، فالتناقض بينها عميق، ولكنّ تحكّمها صيغة توازن دقيقة، تنعكس مباشرة على خريطة الانتشار العسكري على الأرض. وتقوم على تبادل المصالح فيما بينها. التوصل إلى صيغة تسوية أو مبادلة ليس سهلاً بين أطراف الصراع في إدلب على حساب مناطق أخرى وخاصة تل رفعت نظراً للمصالح السياسية والعسكرية التكتيكية التي تجمع هذه القوى لمواجهة، التمدد التركي ومرتزقته الهادف لإعادة أمجاد الخلافة العثمانية وتنفيذ بنود الميثاق الملي. والخطر الأكبر لا ينحصر في تل رفعت وحدها بل يشمل منطقة الشمال السوري بكامله، وتركيا عينها على حلب. وتشمل خريطة الميثاق الملي التركي، التي تعمل على إحيائها مدن الرقة وادلب وحلب وعبر الحدود إلى إقليم كردستان شمال العراق لتشمل محافظتي الموصل وكركوك.

لا يمكن فهم طبيعة السجال حول بلدة تل رفعت، إلا بالعودة إلى أولى سنوات الأزمة والطرف الذي بادر للعدوان والمواجهات التي أفضت إلى دخول وحدات حماية الشعب إليها.

ففي 28/10/2012 شنّ فصيل "عاصفة الشمال" الذي كان يقوده "عمار دادخي" (أبو إبراهيم)، هجوماً على قرية قسطل جندو، على مدى خمسة أيام، بمؤازرة من "كتيبة عمرو بن العاص ولواء صقور الشهباء وكتيبة أحرار الشام" وتلا ذلك هجوم مسلّح على مواقع كردية في حي الأشرافية بحلب، وتكررت الهجمات وزادت وتيرة الاشتباكات مع اختطاف الناشطة "نوجين ديركي" أثناء تسليم جثث قتلى وتداول خبر اغتيالها غدرًا، وكذلك الاستهداف المركز لحي الشيخ مقصود.

وعلى مدى سنوات كانت قرى عفرين القريبة من إعزاز في دائرة الاستهداف بالقصف المباشر على المنازل ما أودى بحياة مواطنين وإصابة عدد كبير من المواطنين بينهم أطفال ونساء، كما قطع الطريق عن عفرين، وكانت الفتوى المكتوبة على جدار أحد المساجد المتضمنة "إهدار دم ومال كل من يدخل مواداً إلى عفرين" دليلاً قطعياً على حجم الحصار المفروض، فيما أختطف الكثير من أبناء عفرين على الطرقات، وعفرين التي كانت تبعد عن حلب مسافة 60 كم، أضى الوصول إليها من حلب يتطلب سفرًا لأكثر من 16 ساعة، والمرور على ثلاث محافظات.

في 9/2/2016 أفادت مصادر وكالة تسنيم بأنّ وجهاء بلدة تل رفعت طالبوا من خلال لقائهم بجهات عسكرية وأمنية، بفتح نافذة تفاوض حول مصير البلدة ودون الدخول في معارك، بفتح قنوات اتصال مع ضباط الجيش السوري ومسؤولين في ملف المصالحة. (28)

الاستهداف التركي المستمر لمنطقة عفرين عبر دعم الفصائل المسلحة وتكرار حالات القصف جعل الاتفاق مع الجانب الروسي معبراً إلزامياً، وقاد إلى معركة تل رفعت والتي انتهت بسيطرة وحدات حماية الشعب عليها في 15/2/2016 بدعم جوي من الطيران الروسي. فيما قدمت المدفعية التركية الغطاء الناري لفصائل المعارضة، وقصفت مواقع عدة في قرى عفرين. وتزامن ذلك برفع الحصار عن بلدتي نبل والزهراء في 2/2/2016، بدعم إيراني مباشر، ووصل البلديين مع مدينة حلب بفتح طريق عبر منطقة الشهباء يصل إلى منطقة الكاستيلو.

في 17/2/2016 دخل نحو 500 مقاتل سوري من تركيا عبر معبر السلامة في مدينة إعزاز، أهم معاقل الفصائل الإسلامية والمقاتلة بريف حلب الشمالي بهدف الانضمام إلى جبهات القتال ضد الكرد في ريف حلب الشمالي. (29)



في هذه الفترة وصل توتر العلاقات بين موسكو وأنقرة أقصى الحدود، على خلفية إسقاط القوات التركية طائرة روسية، وأرادت موسكو أن تبعث برسائل مستفزة إلى أنقرة، فاستثمرت التناقض التركي — الكردي، لتقديم الدعم للكرد والترويج لإعداد مشروع دستور لسوريا عُرف باسم دستور (كيري — لافروف). وبهذا زاد احتقان أنقرة إلا أنها لم تجرؤ على خوض المعركة بنفسها، ومواجهة روسيا. فكانت حرب الوكالة الأسلوب الوحيد المتاح.

وانتشرت لاحقاً وحدات من الشرطة العسكرية الروسية بالمنطقة، وتمت المحافظة على صيغة متوازنة من الهدنة بين عدة أطراف اجتمعت في جغرافيا شمال حلب وحتى الحدود التركية (الجيش السوري والقوات الإيرانية بعد رفع الحصار عن نبل والزهراء، والشرطة العسكرية الروسية، وفصائل المسلحين في إعزاز ومارع ووحدات حماية الشعب في عفرين). ونظراً لتعدد الأطراف بقي الطريق المسمى "غازي عينتاب" مقطوعاً لا يصل إلى حلب، وفيما طالبت تركيا بالسيطرة على الطريق، أبدت طهران رفضاً شديداً حرصاً على أمن بلديتي نبل والزهراء. ودخلت الشرطة العسكرية الروسية إلى قرية كفرجنة في منطقة عفرين في 20/3/2017، لمنع الصدام المحتمل بين وحدات حماية الشعب والقوات التركية. (30)

## — تل رفعت ومسؤولية موسكو



في 28/8/2017 أفادت وكالة "سبوتنيك" بوصول رتل تابع للشرطة العسكرية الروسية إلى مدينة تل رفعت بريف حلب الشمالي، تنفيذاً لاتفاق مناطق خفض التوتر في سوريا. (31)

في 6/9/2017 أعلن الجيش الروسي، إنشاء منطقة "فض اشتباك" في تل رفعت شمال سوريا، بموجب اتفاق ينص على نشر قوات للنظام وشرطة عسكرية روسية. (32)

وقال الجنرال سيرغي رودسكوي من قيادة الأركان الروسية إن إنشاء هذه المنطقة هدفه "منع الاستفزازات والاشتباكات التي يمكن أن تقع بين الجيش السوري الحر والمقاتلين الكرد. وأضاف أن قوات للنظام السوري "حلت مكان الوحدات الكردية التي أخلت المنطقة، ونشرت وحدات من الشرطة العسكرية للجيش الروسي" لمراقبة تنفيذ وقف إطلاق النار. وبحسب الجيش الروسي، عاد إلى تل رفعت 400 مدني منذ توقف الاشتباكات في المنطقة. (32)

وأكد المتحدث باسم الرئاسة التركية، إبراهيم قالن في مؤتمر صحفي عقده، في مدينة إسطنبول، السبت 3/2/2018 أن بلاده ليس لديها أي نية لاحتلال أي جزء من سوريا، نافياً وجود اتفاق بين أنقرة وموسكو بشأن عملية عفرين. وشدد قائلاً "على الأرض، لم تردنا أي أنباء من مصادرنا حول سقوط ضحايا مدنيين". (33)



في 23/2/2018 وفيما كانت المعارك مستمرة على جبهات عفرين، وبالتوازي مع دخول القوات الشعبية التي دفعت بها دمشق إلى عفرين لتعزيز جبهاتها، ذكرت صحيفة "رأي اليوم" أنّ الجيش السوري استلم مدينة "تل رفعت" من وحدات حماية الشعب بعد التوصل لاتفاق بين الجانبين. (35)



بعد احتلال عفرين في 18/3/2018 وخروجها الأهالي منها في أكبر موجة نزوح جماعيّ تجري في يوم واحد، طيلة سنوات الأزمة السوريّة، كانت قرى وبلدات منطقة الشهباء الوجهة الرئيسيّة لأهالي عفرين، إضافة لبعض قرى عفرين التي لم تسيطر عليها القوات التركيّة وهي تحديداً الواقعة بجوار بلدتي نبل والزهراء الشيعيتين، وفي تلك الفترة دار جدل كبير حول مصير بلدة تل رفعت كبرى بلدات منطقة الشهباء.

في 24/3/2018 قال الرئيس التركيّ أردوغان في المؤتمر الاعتيادي السادس لحزب العدالة والتنمية الذي يتزعمه، بولاية صامسون: رسائل إخواننا في تل رفعت ومنبج وتل أبيض ورأس العين بتحرير مناطقهم لن تبقى دون جواب وأضاف: "إن شاء الله لن نقف متكوفي الأيدي تجاه نداءاتهم وسنلبي طلبهم". (36)

وفي 25/3/2018 دعا الرئيس التركيّ أردوغان في تجمع حزبيّ، الولايات المتحدة إلى تسليم مدينة منبج السوريّة إلى أهلها السوريين، فيما تعهد بتطهير مدينة تلرفعت بريف حلب الشمالي استكمالاً لعملية غصن الزيتون. (37)

نشر المرصد السوري لحقوق الإنسان في 26/3/2018، أن اجتماعاً جرى في ريف حلب الشمالي بين الأتراك والروس، وأبلغت المصادر المرصد السوري أنّ الاجتماع أفضى لاتفاق على تسليم تل رفعت وقرى المحيطة بها والخاضعة لسيطرة وحدات حماية الشعب الكرديّة، إلى مقاتلين من الفصائل السوريّة الإسلامية والمقاتلة الموالية للقوات التركيّة ضمن عملية "غصن الزيتون"، الاتفاق هذا يأتي رغم وجود عشرات آلاف المهجرين من أهالي عفرين في بلدة تل رفعت، يواجهون مصيراً مجهولاً عقب هذا الاتفاق. (38)

ففي 27/3/2018، تداولت العديد من المواقع الإخبارية معلومات منسوبة للإعلام التركيّ تفيد بأنّ بيطرة الجيش التركيّ والفصائل المسلحة الموالية له على مدينة تل رفعت ومطار منغ العسكريّ "استكمالاً لعملية غصن الزيتون". وأنّه جرى تسليم البلدة إليها من قبل الجانب الروسيّ دون أي مواجهات. (39)

إلا أنّ المرصد السوريّ لحقوق الإنسان نفى في 27/3/2018، خبر دخول قوات التركيّة إلى داخل تل رفعت، وذكر أنها توقفت عند ضواحي المدينة، ونقلت عن مصادر موثوقة أنّ قوات سوريا الديمقراطية وقوات تابعة لحكومة دمشق رفضوا الانسحاب نتيجة وجود عشرات آلاف النازحين من عفرين في البلدة وضواحيها، فيما لا تزال المفاوضات جارية مع القوات الروسيّة للانسحاب من المدينة ودخول القوات الروسيّة إليها. (40)



وبعد أيام من تضارب المعلومات حول دخول القوات التركية إلى تل رفعت ونفيها تم حسم الأمر لصالح دمشق، ونشرت وكالة سبوتنيك الروسية في 21/3/2018 أنّ الجيش السوري انتشر في بلدة تل رفعت. ونقلت وكالة "سانا" عن أهالي مدينة تل رفعت تأكيدهم عدم دخول أي قوات تركية أو فصائل موالية لها إلى المدينة. (41)

في 16/6/2018 ذكر المرصد السوري لحقوق الإنسان أنّ معلومات من مصادر موثوقة، حول استئناف المباحثات التركية - الروسية، وبتنفيذ من أطراف محلية بريف حلب الشمالي، حول منطقة تل رفعت ومناطق وجود القوات الإيرانية مع مسلحين سوريين وغير سوريين مدعومين منها، وأبلغت المصادر المرصد السوري أنّ تحركات ومباحثات تجري لخروج الجانب الإيراني من المنطقة مع قوات النظام، ودخول قوات مشتركة روسية - تركية، على أن يمنع دخول أية فصائل من المعارضة السورية المقاتلة والإسلامية إلى المنطقة، ويتضمن الاتفاق انتشار شرطة عسكرية بالمنطقة للحفاظ على الأمن الداخلي فيها، وأشارت المصادر أنّه تجري عملية تسجيل قوائم اسمية للراغبين من أهالي منطقة تل رفعت والقرى القريبة منها، بالرجوع إلى منازلهم، التي نزحوا عنها إبان العملية العسكرية التي جرت في شباط 2016، وسيجري دراسة القوائم الإسمية للراغبين بالعودة. (42)

وذكر المرصد السوري لحقوق الإنسان في 31/5/2018 أنّه حصل على معلومات تفيد بوجود خلافات بين القوات الروسية والقوات الإيرانية حول منطقة تل رفعت والمناطق المحيطة به، ويتمحور الخلاف حول عرض روسي بتسليم منطقة تل رفعت ومحيطها للقوات التركية، مقابل انسحاب الفصائل المقاتلة والإسلامية من مثلث غرب جسر الشغور - سهل الغاب - ريف اللاذقية الشمالي الشرقي، حيث أثار الاتفاق حفيظة الجانب الإيراني. (43)

إلا أنّ أنقرة واصلت الاحتجاج بالدواعي الأمنية حتى تم التوافق على تسيير الدوريات المشتركة، وفي 14/2/2019 وبالتزامن مع قمة سوتشي بين رؤساء (روسيا وإيران وتركيا) سيّرت القوات التركية والروسية أول دورية عسكرية مشتركة في قرى مرعناز وعين ذقنة وكفرخاشر ومنغ، بريف حلب الشمالي، بعد إزالة سواتر ترابية وإدخال رتل عسكري تركي، وذكرت وزارة الدفاع التركية حينها، في تغريدة لها على حسابها الرسمي على "تويتر"، أنّ "الهدف الرئيسي من الدوريات هو ضمان وقف إطلاق النار بالمنطقة وتوفير الاستقرار ومنع الهجمات على سكان المدينة". (44)

وفي 26/3/2019 نفذت دورية مشتركة في محيط بلدة تل رفعت. وجاء ذلك بعد مباحثات مشتركة بين الجانبين في 12/3/2019. (45)

في 4/5/2019 قالت وزارة الدفاع التركية إنّ أربعة جنود أتراك قُتلوا وأصيب اثنان آخرون في هجومين منفصلين شنهما أكراد يوم السبت مضيفة أنّ الجيش رد في الحاليتين. (46)

وفي اليوم نفسه (4/5/2019) أفادت صحيفة يني شفق الموالية للحكومة أنّ "الجيش السوري الحر" أعلن، شنّ عملية ضدّ وحدات حماية الشعب السورية في قرى منطقة تل رفعت شمال حلب. وأنّ القوات التركية قصفت بعد وقت قصير من بدء العملية استهداف قرية مرعناز وأنه تم تطهير قرى مرعناز ومالية وشوارغة. (47)

في 19/9/2019 ذكرت صحيفة العرب أنّ قدمت تركيا عرضاً يقوم على تسلم مدينتي تل رفعت ومنبج في ريف حلب مقابل خفض وجودها في محافظة إدلب، لكنه قوبل برفض من روسيا التي لن تقبل بإغلاق جبهة خوها من أن تفتح على نفسها جبهات أشدّ خطورة. وأضافت أنّ "العرض التركيّ مناورة بعد أن طلبت موسكو من أنقرة مؤخراً خفض عدد قواتها وتقليص النقاط العسكرية في إدلب". (48)



في 2/12/2019 قصفت قوات الاحتلال التركي والفصائل الموالية لها بقذائف الهاون السوق الشعبي في بلدة رفعت، لترتكب مجزرة مروعة أودت بحياة 10 أشخاص، بينهم 8 أطفال 10 وأصيب عدد آخر بجراح. (49)

أعلن مركز المصالحة الروسي في سوريا، أن المسلحين أطلقوا النار على ناد رياضي في مدينة تل رفعت بريف حلب، ما أسفر عن مقتل 10 مدنيين بينهم 8 أطفال، وإصابة 13 شخصاً بجروح. وأوضح رئيس المركز الروسي للمصالحة، اللواء يوري بورينكوف، في بيان له، أن المسلحين قصفوا النادي الرياضي بمدافع الهاون من عيار 120 ملم من جهة قرية جبرين. وأشار إلى أن من بين الجرحى 7 أطفال، اثنان منهم في حالة حرجة. (50)

القصف بتوقيته وطريقته ومكان تنفيذه يؤكد نية تعمد قتل المدنيين المهجرين الذين سبق أن دفعت بهم القوات التركية للتهجير عن موطنهم الأصلي، ويأخذ الحادث أبعاداً أخرى من المسؤولية القانونية بالأخذ بعين الاعتبار أن هذه الجغرافيا تخضع لتفاهات أستانه، فنقطة المراقبة الروسية تقع بالبلدة نفسها وعلى مسافة قليلة عن المكان المستهدف وعلى مدى النظر، كما يُرفع في البلدة العلم السوري وتنتشر على خطوط التماس وحدات من الجيش السوري. وجاء القصف في سياق محاولات تركية للضغط باتجاه صفقة تبادل جغرافي بين إدلب وتل رفعت للسيطرة على طريق غازي عينتاب الذي يبدأ من مدينة إعزاز على الحدود التركية الواصل إلى حلب، ومنها لفتح الطريق الدولي M5 إلى دمشق فالحدود الأردنية مروراً بأهم المدن السورية.

من المؤكد أن البيئة السياسية الهشة التي أنتجت تفاهات أستانه والعلاقات التركية-الروسية القائمة على تبادل المصالح، هي عوامل لها انعكاسات مباشرة على الميدان السوري، دون أن تنطلق من مصالح السوريين، وما كان لأنقرة أن تقدم على الهجوم على عفرين واحتلالها واستباحتها بالكامل لولا هذه التفاهات، ومجزرة تل رفعت كانت استكمالاً للعملية العسكرية نفسها واستهداف أهالي عفرين في جغرافيا التهجير، بهدف تذيب القضية عبر الترويع والتهجير مجدداً. ويجدر التأكيد على أن المنطقة المستهدفة مدنية وتقع قرب مدرسة ما يدحض كل ادعاء بتوصيف عسكري لها. كما يفترض أن الوضع الحالي يقوم على ضمانة روسية بوقف إطلاق النار.

ورغم حجم المجزرة المروعة وفداحة نتائجها قصفت القوات التركية في اليوم التالي ست قرى بناحية شرا، لتؤكد بذلك النوايا التركية، ورضا الأطراف الفاعلة بالأزمة السورية عبر ركونها للصمت وعدم ممارسة أي ضغط على أنقرة، ولا حتى عبر إصدار بيان إدانة بالمجزرة والإعراب عن مشاعر التعاطف الإنساني مع ذوي الضحايا، وكان حرياً بدمشق أن تبادر من موقع الدولة للعمل بفعالية على المستوى السياسي ورفع شكوى إلى المؤسسات الأممية ذات العلاقة لاعتبارات وطنية سيادية وهي مهمتها القانونية، وأن تعمل عبر الحليف الروسي لوضع حد للمجازر التي ترتكبها الدولة التركية والفصائل الموالية لها والتي جمعتها، وكان ذلك سيكون خطوة يُبنى عليها في مسار الحوار والحل السياسي، وعدم القيام بها له انعكاسات سلبية على المستوى الوطني.

في 20/5/2020، أعلن الجيش الروسي، إنشاء منطقة "فض اشتباك" في تل رفعت، بموجب اتفاق ينص على نشر قوات سورية وشرطة عسكرية روسية. وقال الجنرال سيرغي رودسكوي من قيادة الأركان الروسية إن إنشاء هذه المنطقة هدفه

"منع الاستفزازات والاشتباكات التي يمكن أن تقع، بين الفصائل الموالية لأنقرة والمقاتلين الأكراد". وأضاف أن قوات النظام السوري حلت مكان الوحدات الكردية التي أخلت المنطقة، ونشرت وحدات من الشرطة العسكرية للجيش الروسي لمراقبة تنفيذ وقف إطلاق النار. وتعبير "فض الاشتباك" يستخدمه العسكريون للإشارة إلى التدابير المتخذة لتجنب وقوع حوادث ناتجة عن وجود أطراف عدة تحارب عدواً في منطقة واحدة. (51)



في 14/4/2021، ترددت أنباء حول انسحابات مفاجئة قامت بها قبل يوم القوات الروسية من تل رفعت وقرى كشتعار وتنب وتل عجار وقاعدة منغ الجوية، دون تبيان الأسباب. وتم تداول أن القوات الروسية تستعد خلال الفترة المقبلة للخروج بشكل كامل من كامل منطقة "الشهباء" والتوجه نحو مدينة حلب.

في 17/4/2021 قالت صحيفة "خبر ترك" في تقرير للكاتب محرم ساريكيا، أن ما حدث هو انسحاب لولايات روسية من منطقة تل رفعت، ولكن بعد يومين تم إرسال البديل، وما حدث كان استبدالاً للقوات الموجودة هناك بأخرى.

في 15/9/2021 عُقد اجتماع في أنقرة بين وفدين عسكريين تركي وروسي ونقلت وكالة سبوتنيك في اليوم التالي عن مصدر تركي مطلع أن الوفدين العسكريين التركي والروسي لم يتوصلا خلال اجتماعهما في مقر وزارة الدفاع التركية بأنقرة لأي تفاهم بشأن الوضع في إدلب. وقال المصدر التركي في تصريح خاص لوكالة "سبوتنيك" إن "تركيا لم تتجاوب مع مطالب الجانب الروسي بالانسحاب من نقاط المراقبة بمحافظة إدلب شمالي سوريا مقترحة تسليمها لمدينتي تل رفعت ومنبج، الأمر الذي لم يلق رداً إيجابياً من الجانب الروسي". (52)

في 26/10/2021، ذكرت وكالة الأناضول أن البرلمان التركي، وافق على المذكرة الرئاسية المتعلقة بتمديد التفويض لرئيس الجمهورية من أجل إرسال قوات إلى العراق وسوريا لعامين إضافيين، اعتباراً من 30 تشرين الأول/أكتوبر 2021. (53)

وفيما يتم التمديد كل مرة لمدة عام، فقد تم اعتماد التمديد لمدة عامين دفعة واحدة، ليكون ساري المفعول حتى عام 2023، أي السنة المصيرية التي تحدد مصير تركيا والحزب الحاكم. وامتنع حزب الشعوب الديمقراطي والشعب الجمهوري عن التصويت بالموافقة، وقال كمال كليشدار أوغلو مخاطباً أردوغان: "ماذا فعلت عندما استشهد 33 من جنودنا؟ لا نريد أن ينزف أي من جنودنا ولا أطفالنا. لماذا تفعلها ولأي سبب تفعلها؟". (54)

كشفت صحيفة "خبر تورك" التركية عن لقاء دبلوماسي وصفته بـ "المهم" سيعقد في أنقرة بين تركيا وروسيا، للبحث في الهجوم التركي المرتقب على الشمال السوري والذي يؤدي للتقدم باتجاه بلدة تل رفعت ومدينة منبج، ومقابل ذلك ربما تقترح تركيا فتح الطريق الدولية "إم-4"، والانسحاب من بعض المناطق الريفية في إدلب.

ولفتت الصحيفة إلى أن الجانب الأمريكي لم يرفض العمل العسكري شرقي الفرات، رغم أنه يعتبر أن أي عمل عسكري تركي بالمنطقة سينعكس سلباً على التوازنات التركية-الأمريكية. إلا أن الرئيس التركي أردوغان استدرك الموضوع وجس نبض الرئيس الأمريكي جو بايدن خلال لقائهما الأخير في روما في 31/10/2021، قبيل إقدامه على عمل عسكري من 4 محاور جديدة في سوريا، تقع تحت سيطرة قوات سوريا الديمقراطية (قسد). (55)

في 24/5/2022 قالت صحيفة "تركيا" إن روسيا سحبت قواتها المتمركزة في الحسكة وإدلب وحماة واللاذقية وريف حلب (منبج، تل رفعت، كوباني). وبحسب الصحيفة فإن المعارضة السورية فسرت تلك التطورات والانسحابات الروسية بأن "الطريق إلى حلب قد فتح"، وقال يوسف حمود المتحدث الرسمي لما يسمى "الجيش الوطني": "لم يبق وجود عسكري روسي في خط تل رفعت، وهذا أمر بالغ الأهمية بالنسبة لتركيا". (56)



بذلك لم يتوقف الجدل حول بلدة تل رفعت، ومن الواضح أن الوجود الروسي مستمر في المنطقة ولم ينقطع اعتباراً من تقديم الدعم الجوي خلال سيطرة وحدات حماية الشعب على البلدة في شباط 2016، وكذلك وحدات الجيش السوري، وحتى اليوم، وخلال هذه السنوات التقى الجانبان الروسي والتركي مراراً وعلى مختلف المستويات، ويُفترض وفق هذا التسلسل أن تكون كل الذرائع التي تطلقها أنقرة والمتعلقة بأمنها القومي، قد تمت الاستجابة في أدنى درجاتها، فالجيش التركي بات في عمق الأراضي السورية، وهو يسيطر فعلياً على الأرض، فيما تم تهجير أهالي عفرين من بيوتهم في قراهم وبلداتهم، والمباحثات متواصلة مع الجانبين الروسي والإيراني، ولا وجود فعلي لقوات سوريا الديمقراطية على الأرض، كما يفترض أن روسيا كقوة عظمى أن تكون قادرة على ضبط إيقاع الأحداث بالمنطقة، بفضل وجود الواقعي في المنطقة عبر نقاط المراقبة. إلا أن القصف التركي لم يتوقف على بلدة رفعت وسائر قرى عفرين غير المحتلة وكذلك قرى منطقة الشهباء التي أضحت ملاذ أهالي عفرين، ولم يبادر الجانب الروسي لاتخاذ أي موقف فعلي لمنع قصف القوات التركية والفصائل المسلحة الموالية لها.

## القصف التركي يستهدف الأهالي ومعظم الضحايا أطفال



على مدى السنوات الماضية من نزوح أهالي عفرين القسري إلى قرى وبلدات الشهباء، لم يتوقف استهداف الجيش التركي لتلك المنطقة، بذريعة التهديدات الأمنية. وأسفرت عمليات الاستهداف بالقصف المدفعي والطيران المسيّر عن حوادث مروّعة ومقتل العديد من المواطنين بينهم أطفال ونساء، وكثيراً ما تستخدم الفصائل الموالية لأنقرة صواريخ غراد، ومعلوم أن هذه النوع من السلاح محرم استخدامه في استهداف القرى والبلدات المأهولة نظراً لافتقاره إلى دقة الإصابة والآثار التدميرية الكبيرة التي يلحقها بالمنازل.

في 26/7/2022 قصفت القوات التركية السوق الشعبي في بلدة تل رفعت ما أدى إلى إصابة أربعة مواطنات من مهجري عفرين، والمصابات من العاملات بالمياومة في الأراضي الزراعية القريبة من البلدة، وبسبب خطورة الإصابة توفيت فتاة في السابعة عشرة من عمرها بعد 4 أيام.

الموقع المستهدف يقع في البلدة ولا توصيف عسكري له من أي نوع. وسبق أن شهد الموقع نفسه مجزرة مروّعة في 2/12/2019، فقد قصفت القوات التركية والفصائل الموالية له بقذائف الهاون السوق الشعبي وتحديداً خلف الهلال الأحمر السوري وكراج البلدة، ما أودى بحياة 10 أشخاص بينهم 8 أطفال 10 وأصيب عدد آخر بجراح.

ومساء يوم 24/2/2020 انهمرت 15 قذيفة على قرية آقبيه / عقيبته بناحية شيراوا التي لجأت إليها عوائل مهجرة من عفرين، وانهار سقف أحد البيوت على ساكنيه وأودى بحياة ثلاثة أشخاص من عائلة واحدة. وقبل هذه الحادثة بيوم واحد قضت مواطنة بالقصف التركي.



في 23/1/2021 بلدة رفعت كان في مرمى الاستهداف المدفعي التركي والميليشاوي التابع، فسقطت القذائف وسط البلدة المكتظة بالأهالي، ما أسفر أودى بحياة ثلاثة أشخاص هم سيدة وطفلان، وإصابة تسعة أشخاص آخرين بجراح.

في 15/2/2022، قصف الجيش التركي والفصائل الموالية بلدة تل رفعت بالقذائف والصواريخ، ما أسفر عن إصابة طفلة (8 سنوات)، كما طال القصف قرى: تل جبرين، وسموقة وسد الشهباء في منطقة الشهباء. وكان جيش الاحتلال التركي قد قصف بعد ظهر اليوم نفسه بلدة تل رفعت، ما أدى إلى إصابة 5 أشخاص بينهم 4 أطفال، وألحق أضراراً مادية كبيرة بالممتلكات.

صباح الأربعاء 1/6/2022 استهدفت طائرة مسيرة انتحارية تركية مبنى يضم عيادات طبية (نسائية وسنية ومخبر للتحليل) على الشارع الرئيسي وسط بلدة تل رفعت تل رفعت، وكانت العيادة النسائية في الطابق الثاني، كانت الأكثر تضرراً.

هذه الأمثلة من القصف التركي تؤكد أن القصف التركي يستهدف مواقع مأهولة بالسكان المدنيين، والمفارقة أن الإعلام التركي يصف عمليات القصف على أنها استهداف لمواقع عسكرية.

في الواقع لا تقتصر المسؤولية على دولة الاحتلال التركي وحدها التي هجرت الأهالي من موطنهم الأصلي، بل المسؤولية القانونية والسياسية تقع على عاتق أطراف أخرى، لأن هذه الجغرافيا تخضع لتفاهات أستانه، ونقطة المراقبة الروسية تقع بالبلدة نفسها وعلى مسافة بسيطة عن المكان المستهدف وعلى مدى النظر منه، كما يُرفع فيها العلم السوري وتنتشر في خطوط التماس وحدات من الجيش السوري، ويأتي القصف في سياق محاولات تركية للضغط باتجاه صفقة تبادل جغرافي بين إدلب وتل رفعت لفتح الطريق الدولي M5 الذي يبدأ بالحدود التركية وطريق غازي عينتاب الواصل إلى حلب ومنها إلى دمشق فالحدود الأردنية مروراً بأهم المدن السورية، وما يحدث من عدوان على بلدة عين عيسى استكمالاً لتفاهات ذاتها.

البيئة السياسية التي أنتجتها تفاهات أستانه والعلاقات التركية - الروسية هي الباعث الأساسي للقصف المستمر ووقوع الضحايا، وما كان لأنقرة إكسكس العدوان على عفرين وشمال سوريا واحتلالها واستباحتها بالكامل لولا تلك التفاهات، وتهدف أنقرة من خلال قصف تل رفعت شن العملية العسكرية عليها تذيب قضية عفرين بترويع أهالي عفرين المهجرين ودفعهم لمغادرة المنطقة قسراً.

## معادلة الأمن القومي المفتوحة

في 7/10/2021 أعلن البيت الأبيض أن الرئيس الأمريكي جو بايدن تمديد العقوبات المفروضة على تركيا بسبب عملياتها العسكرية في سوريا عام 2019 عاماً آخر. وقال الرئيس الأمريكي جو في بيان إن "الإجراءات التي اتخذتها الحكومة التركية لشن هجوم عسكري على شمال وشرق سوريا، تقوّض الحملة لهزيمة تنظيم (داعش) في العراق وسوريا"، وأشار إلى أن الوضع في سوريا "لا يزال يشكل تهديداً غير عادي واستثنائياً للأمن القومي والسياسة الخارجية للولايات المتحدة". وأضاف بيان الرئيس بايدن: "ولهذا السبب يجب أن تبقى حالة الطوارئ المعلنة بموجب الأمر التنفيذي رقم 13894 الصادر في 14/10/2019، سارية المفعول إلى ما بعد 14/10/2021. وبالتالي أمدد حالة الطوارئ الوطنية المعلنة بموجب الأمر التنفيذي". وصرح المتحدث باسم الخارجية الأمريكية: بأن أي عمل عسكري يهدد الاستقرار مرفوض. (57)



جدّد الرئيس التركيّ أردوغان في 11/10/2021، التهديدَ بشأنّ عمليةٍ عسكريّةٍ جديدةٍ في سوريا، على خلفيّة مقتل عنصرين من القواتِ الأمنيّةِ التركيّةِ في بلدة مارع، فيما تمّ استهداف بلدة قرقميش بخمس قذائف هاون. والحجّة التركيّة القديمة الجديدة هي نفسها "الأمن القوميّ"، الذي لم تتضح معالمه، ولكن التهديد هذه المرة ضرورةٌ سياسيّةٌ للداخل، وتنفيذه يفتقر لعامل التناقض الروسيّ الأمريكيّ. (58)

في 29/10/2021 عقد لقاء خلف الأبواب المغلقة في سوتشي جمع الرئيس الروسيّ بوتين والتركيّ أردوغان، الأمر الذي فتح المجال لتكهنات باتفاق حول تسوية تتضمن تبادلاً بالمناطق. وشدد الجانبان على التزاماتهما بالاتفاقيات المبرمة بشأن ضرورة إخلاء محافظة إدلب شمال غربي سوريا من الإرهابيين. (59)

في 1/11/2021 أكد الرئيس التركيّ أردوغان، أن بلاده مستعدة لشنّ عملية عسكريّة جديدة في سوريا، مشيراً إلى أنّ هذا القرار سيتخذ في حال اقتضت الضرورة ولن يتم التراجع عنه. (60)

في 23/5/2022 هدد الرئيس التركيّ أردوغان في كلمته أمام المجمع الحكومي في أنقرة، بعملية عسكريّة تركية بلاده ستشن قريباً عمليات عسكريّة جديدة على حدود تركيا الجنوبية لإقامة مناطق آمنة بعمق 30 كيلومتراً لمكافحة ما وصفه "التهديدات الإرهابيّة" من هذه المناطق. وأضاف "الهدف الرئيسيّ لهذه العمليات سيكون مناطق تمثل مراكز للهجمات على بلادنا (وإقامة) مناطق آمنة". وقال أردوغان إنّ العمليات ستبدأ فور استكمال القوات العسكريّة وأجهزة المخابرات والأمن استعداداتها. لكنه لم يذكر موعداً محدداً للعملية العسكريّة، ولا المناطق التي يمكن أن يطالها الاستهداف التركيّ. (61)

في 26/5/2022 عقد مجلس الأمن القوميّ التركيّ اجتماعاً برئاسة الرئيس التركيّ، وجاء في البيان: أنّ "العمليات العسكريّة الجارية وتلك التي ستُنفذ على حدودنا الجنوبيّة ضرورة لأمننا القوميّ ولا تستهدف سيادة دول الجوار". وأشار البيان إلى أنقرة "تنتظر نفس المسؤولية والصدق من حلفائها". وجاءت صيغة البيان ضابيّة، اكتفت بتأكيد التهديد. (62)

في 1/6/2022 جدد الرئيس التركيّ أردوغان خلال كلمة أمام كتلته الحزبية في البرلمان التهديدَ بشأنّ عملية عسكريّة في شمال سوريا وقال: "نحن بصدد الانتقال إلى مرحلة جديدة في قرارنا المتعلق بإنشاء منطقة آمنة على عمق 30 كم شمال سوريا"، وحدد منطقتي تل رفعت ومنبج مجالاً للعملية. (63)

في 15/6/2022 ذكر موقع المونيتور أنّ الفصائل المدعومة من تركيا تشكل مجالس عسكريّة في شمال سوريا قبل عملية تركية محتملة وأنّ فصائل الجيش السوري الحر المدعومة من تركيا تستعد لإدارة تل رفعت ومنبج بريف حلب بعد طرد القوات الكردية إثر عملية عسكريّة تركية متوقعة. (64)

في 27/6/2022 أعلن الرئيس التركيّ أردوغان أنّ العمليات التركيّة الجديدة ستبدأ بمجرد الانتهاء من التحضيرات بشأن استكمال الحزام الأمنيّ على الحدود التركيّة مع سوريا. وأضاف أنّه "سيطرح في قمة حلف شمال الأطلسي (ناتو) في مدريد، موضوع النفاق بخصوص ما سماه "التنظيمات الإرهابيّة".

وأكد الناطق باسم الرئاسة التركيّة إبراهيم قالن في وقت سابق أن أنقرة مستعدة للعملية العسكريّة الجديدة في شمال سوريا ويمكن أن تبدأ في أي لحظة. (65)

في 1/7/2022 واصل الرئيس التركيّ أردوغان، التهديد وقال: إنّ بلاده تعمل في مجال التحضير لعملية عسكريّة في شمال سوريا، ونوه بأن كل شيء يمكن أن يحدث فجأة. وأضاف في تصريح للصحفيين على متن الطائرة عند عودته من مدريد: "لدي بيان حول هذا الموضوع: نحن يمكن أن نقوم بذلك فجأة في الليل. لا داعي للقلق. لا داعي للتسرع والاستعجال". (66)



في 13/7/2022 القوات الإيرانية ترفع علمها في قرية بينه / إيين، بناحية شيراوا وترفعُ السواترَ الترابية، وبذلك يتجاوز الوجود الإيراني العسكري التكهّنات ومجردَ الخبر، ليعكسَ المشهدُ الميداني حقيقةَ التناقضات والأهداف السياسية لكلِّ طرفٍ، ومن المؤكّد أنّ القوات الإيرانية لم تحضر إلى المنطقة لأسباب تتعلق بأهالي عفرين، وهي تتعامل مع التهديد التركي وفق معطى آخر، ورسالة طهران في ريف حلب الشماليّ عمليّة تسبق انعقاد القمة الثلاثية التي ستجمع رؤساء (روسيا، تركيا، إيران) في طهران. (67)

في 19/7/2022 عُقد اجتماع قمة في طهران ضم رؤساء (إيران وروسيا وتركيا) وطُرحت العديد من الملفات، إلّا أنّ البيان الختاميّ لم يتجاوز بيانات سابقة لاجتماعات أستانه، وأكد على أنّ الأزمة السورية لا يمكن حلها إلا بالوسائل السياسية والدبلوماسية. (68)

وقبيل اجتماع القمة أبلغ المرشد الإيراني آية الله علي خامنئي الرئيس التركي أردوغان، أنّ أيّ عمليّة عسكريّة تشنّها أنقرة في شمال سوريا، "ستعود بالضرر" على المنطقة. وأنها وستصبّ في صالح "الإرهابيين". (69)

بعد ختام قمة طهران أصدرت الرئاسة التركيّة، طالب الرئيس التركي، الولايات المتحدة بالانسحاب من المناطق الواقعة شرق نهر الفرات في سوريا وقال في بيان "إن خطط شن هجوم تركي جديد على وحدات حماية الشعب الكرديّة في سوريا سيظل مدرجاً على جدول أعمال بلاده إلى أن يجري التصدي لمخاوف أنقرة الأمنيّة. (70)

## رعاية للمسارِ التصالحيّ



لم يكن من المتوقع أنّ قمة طهران ستسفر عن اتفاقٍ حول هجوم تركي جديد، بل إنّ القمة كانت بغاية مسار آخر، طرح مقدمته وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان في دمشق في 2/7/2022، بعد أن أعلن تفهم حكومته للمخاوف التركيّة خلال زيارته إلى أنقرة في 26/6/2022، ولكن هذا التفهم من وجهة نظر إيرانية يصبّ في مصلحة الحليف السوري، ولذلك طرح مساراً تصالحيّاً بين دمشق وأنقرة، وهذا المسار ضرورة حتمية بالنسبة لموسكو، من أجل إعادة ترتيب المنطقة، إذ لا يمكن تجاهل سوريا وتركيا في أيّة صيغة قادمة للمنطقة.

مبدئياً ليس بوسع أردوغان التراجع دفعة واحدة عن سقف تهديداته المرتفع، وإن كانت موسكو تعتبر أنّ اتفاقية أضنة 1998 هي الإطار الأنسب لتلك المصالحة، إلّا أنّ دمشق لا يمكنها أن تتجاوز عن الدور التركي في تعقيد الأزمة السوريّة وتدخلها العسكري واحتلالها مناطق سوريّة، علاوة على وجود نحو 3.5 ملايين سوريّ على أراضيها، يُضاف إليهم نحو أربعة ملايين آخرين في مناطق تحتلها وأخرى لها نفوذ مباشر فيها، ولهذا يجب التوقف عند مسعى "الجولاني" لبناء كيانٍ سياسي ديني مذهب في المناطق التي تسيطر عليها "هيئة تحرير الشام / جبهة النصرة"،



مع التهديد بفتح جبهات حلب والتي تتزامن مباشرة مع التهديد التركي الأخير، إلا أن موسكو تعوّل على الدوافع الأمنية نفسها، وتأمل أن تشكّل أرضية لمسار تصالحي وهو ما يستغرق وقتاً قد يصل إلى انتخابات 2023 المفصليّة، وهو ما لا ترغب به أنقرة لأنّ الزمن ليس في صالحها.

ثمة متغير غير واضح المعالم طرأ على موقف أنقرة بعد قمة طهران، حول استعداد أنقرة للتعاون مع دمشق، وعبر عنه وزير الخارجية التركي مولود شاويش أوغلو بقوله: "سنقدم كل أنواع الدعم السياسي لعمل النظام (السوري) في هذا الصدد". وتابع: "من الحق الطبيعي للنظام (السوري) أن يزيل التنظيم الإرهابي من أراضيه، لكن ليس من الصواب أن يرى المعارضة المعتدلة إرهابيين". (71)

في 5/8/2022 التقى في سوتشي الرئيسان التركي أردوغان والروسي بوتين، ورغم أن الملف السوري كان أهم المواضيع المدرجة للبحث فقد خرج اللقاء بالتأكيد على أهمية الحفاظ على الوحدة السياسية لسوريا وسلامة أراضيها، مع جملة المواضيع الاقتصادية ووصف أردوغان مباحثاته مع الرئيس الروسي بوتين حول التطورات في سوريا بأنها "ستجلب أجواء الارتياح إلى المنطقة". (72)

## خطر إعادة إحياء "داعش"



من نافلة القول إنّ الفوضى وانفلات الحالة الأمنية نتائج مباشرة لأيّ حرب، والحالة السورية إجمالاً وبخاصة شمال سوريا وشرق سوريا لم تتعاف بعد من آثار إرهاب "داعش" ونشاط خلاياه، فهي في أحسن الأحوال تعيش حالة النقاهة، ومن السهولة ارتدادها إلى حالة الانتكاسة، عندما تتمكن العناصر الخطرة من الانفلات، ما من شأنه إعادة دوامة العنف الدمويّ بصوره السابقة، والأكثر إيلاماً أنّ ما تحقق في العديد من المناطق التي اندحر فيها "داعش" كان ثمنه باهظاً جداً، وأيّ عدوان إنّ وقع سيطيح بكلّ منجزات التحرير، ويضيّع دماء آلاف القرايين التي قضت في سبيله، ويعيد العنف إلى ذروته في سوريا ويؤجج الصراع داخلياً ويفتح المجال أمام تنظيم "داعش" لإعادة تنظيم صفوفه وتجنيّد الناس والعودة للسيطرة على مساحات شاسعة في ظلّ بيئة أمنية هشة وعدم استقرار متنامٍ. وستنفّث الممرات بين المناطق التي تحتلها تركيا في سوريا والتي أضحت ملاذات لعدد كبير من عناصر وقياديي تنظيم "داعش"، إلى مناطق أخرى.

في 23/3/2019، نقلت وسائل الإعلام آخر مشهد في بلدة الباغوز آخر جيوب "داعش" على الحدود السورية — العراقية، لتنتهي معه ما تسمّى الخلافة المكانية للتنظيم الإرهابي، واستسلم عدة آلاف من عناصره، إلّا ذلك لم يكن النهاية القطعية وزوال المخاطر، بل تحوّل التنظيم من طور الظهور إلى الكمون، وواصل ممارسة نشاطه عبر خلاياه النائمة، ينفذ عمليات الاختطاف والاغتيال كلما وجد الفرصة سانحة.



تبلغ الخطورة درجة كبيرة بسبب عوامل عدة منها هشاشة البيئة الأمنية وعدم إمكانية المراقبة نظراً لسعة مساحة المنطقة التي يُمارس فيها التنظيم الإرهابي نشاطه، وعدم اقتصار استهدافه على مواقع ذات توصيف عسكري، بل يشمل المدنيين عبر عمليات الاغتيال والاختطاف على الطرق العامة واقتحام المنازل وزراعة العبوات الناسفة، وإمكانية الانتقال عبر التسليح وطرق التهريب ما بين مناطق البادية من جهة، وكذلك المناطق التي تحتلها القوات التركية إلى مناطق الإدارة الذاتية، كما تستمر عمليات التجنيد بتقديم الإغراءات المالية وتحريض عوامل الاحتقان.

كان لافتاً أنّ خلايا "داعش" صارت أكثر نشاطاً بعد الاحتلال التركي لمدينتي سري كانيه وكري سبي / تل أبيض، وعمل الاحتلال التركي على توطيّن عشرات العوائل من "داعش" في رأس العين / سري كانيه، وفي 25/10/2020 ظهر عناصر "داعش" علناً في المدينة، خلال مظاهرة على خلفية التوتر بين أنقرة وباريس، ورفعوا أعلامه ورددوا شعاراته. (73)

كان الهجوم على سجن الصناعة في حي غويران في مدينة الحسكة في 20/1/2022، دليلاً قطعياً على حجم التهديد الأمني، وإمكانية التنظيم على تجميع العناصر وتنفيذ عمليات كبيرة، والاستفادة من الثغرات الأمنية. تحاول الفصائل المسلحة السورية الموالية لتركيا والمسيطرة على مناطق واسعة من سوريا سواء فصائل ما يسمى "الجيش الوطني" المسيطر على مناطق في أرياف حلب والرقّة والحسكة أو "هيئة تحرير الشام" في إدلب، إبعاد شبهة إيواء عناصر "داعش" عن نفسها والترويج لدعاية محاربة الإرهاب، إلا أنّ الوقائع تكشف زيف الادعاء، فقد أضحت تلك المناطق ملاذات آمنة لقيادات "داعش" وعناصره.



في 16/7/2022 قال المرصد السوري لحقوق الإنسان: إنّ نحو 50 جهادياً قُتلوا بضربات وعمليات التحالف الدولي منذ مقتل البغدادي، بعضهم قياديون في تنظيمات "داعش" و"حراس الدين" و"القاعدة" وجهاديون آخرون، قضوا جميعاً في ضربات للتحالف استهدف مواقع في المناطق الخاضعة للاحتلال أو النفوذ التركي، اعتباراً من مناطق سيطرة هيئة "تحرير الشام" في إدلب وحتى منطقة رأس العين / سري كانيه المحتلة من قبل الجيش التركي مروراً بمناطق ريفي حلب الشمالي والشرقي. وقد دخل قادة وعناصر تنظيم "داعش" إلى مناطق السيطرة التركية بحماية وتواطؤ من متزعمي الفصائل فيما يسمى "الجيش الوطني". (74)

ففي 27 تشرين الأول 2019 نفذت قوات التحالف الدولي عملية إنزال جوي استهدفت تصفية متزعم تنظيم "داعش" "أبو بكر البغدادي" في قرية باريشا القريبة من الحدود التركية، في منطقة حارم بمحافظة إدلب. وجاءت العملية متزامنة مع العدوان التركي على شمال سوريا.



وفي 3 شباط 2022، تمت تصفية "أبو إبراهيم القرشي"، متزعم "داعش" وخليفة "البغدادي" في بلدة أطمه الحدودية بمحافظة إدلب والقريبة من قرية تل بلوط بعفرين، وفي منطقة قريبة من مكان تصفية سلفه. وآخر عملية نفذها التحالف الدولي كانت في 12 يوليو/تموز 2022، في قرية خالطان بناحية جنديرس في منطقة عفرين، واستهدفت ما يسمى "والي بلاد الشام" في تنظيم "داعش" المدعو "ماهر العكال" / أبو البراء" مع مرافقه منهل العكال، وكان يتنقل على دراجة نارية، ويحمل بطاقة هوية مزورة تحمل اسم خالد صبيح ومن أهالي الرستن صادرة عن المجلس المحلي في عفرين. وكان يعمل ضمن فصيل "أحرار الشرقية"، وهو ينحدر في أصوله من بلدة سلوك بريف الرقة الشمالي.

المدعو "العكال" معروف من قبل السلطات الأمنية التركية فقد سبق أن اعتقلته في 12/1/2021، مع قريبه المدعو "عزو خلف سليمان العكال" في منزله بمدينة أورفة التركية، وهو المسؤول عن التخطيط للعديد من الهجمات الإرهابية، وتأمين المتفجرات المستخدمة في حادثي تفجير سابقين، الأول بسيارة مفخخة في بلدة سروج واستهدف نشطاء كرداً في 20/7/2015، كانوا متضامنين مع مقاومة مدينة كوباني، وأودى بحياة 33 شخصاً إصابة 86 آخرين. وأما التفجير الثاني فقد وقع في ميدان السلطان أحمد بمدينة إسطنبول في 12/1/2016، وأدى إلى مقتل 10 سواح ألمان، إضافة إلى منفذ الهجوم، وإصابة 16 آخرين بجروح 14 منهم أجنب. ولكن السؤال الذي يجب طرحه كيف أفرجت السلطات التركية عن "العكال" ليصل إلى عفرين ويمنح بطاقة شخصية ويتمتع بحرية التنقل التي يحرم أهالي عفرين الكرد؟

رصدت العديد من التقارير الحقوقية والإعلامية وجود عناصر من "داعش" في صفوف الفصائل المسلحة، ووصولهم إلى منطقة عفرين المحتلة، وقد تسنموا مراكز قيادية وأمنية، ما يعني حصولهم على بطاقات شخصية من قبل السلطات التركية التي أنشأت قاعدة بيانات تفصيلية لمسلحي الفصائل والسكان سواء أهالي المنطقة الأصلاء أو المستقدمين إليها. وفي 28/7/2021، فرض مكتب مراقبة الأصول الأجنبية التابع لوزارة الخزانة الأمريكية عقوبات على عدة كيانات سورية كان "أحرار الشرقية" أحدها، بسبب ضم عناصر "داعش". (75)

في 9/3/2022 نشرت "عفرين بوست" أنّ نحو 24 عنصراً من "داعش" بينهم 6 نساء معظمهم من الجنسية السورية جرى تهريبهم وتأمين وصولهم من قبل مسلحي ميليشيات "الجيش الوطني" إلى داخل الأراضي التركية ومنها دخلوا إلى إدلب لينتهي بهم المطاف في كنف ميليشيات "جيش الشرقية" المسيطرة على أجزاء من مدينة جنديرس، وتم استقبالهم من قبل ميليشيا "جيش الشرقية" التي وفّرت لهم مساكن في المدينة وسط مخاوف الأهالي من تزايد عناصر "داعش" وخاصة في صفوف الميليشيات التي ينحدر مسلحوها من المنطقة الشرقية في سوريا، وخاصة ميليشيات "أحرار الشرقية وجيش الشرقية" وتجمع أبناء دير الزور وغيرها. (76)

وفي دليل على مخاطر العملية العسكرية التركية، أدان إبراهيم قالن المتحدث باسم الرئاسة التركية بشدة رسالة نشرتها القيادة المركزية الأمريكية في 25/7/2022، قدمت خلالها العزاء باغتيال القيادة في قوات سوريا الديمقراطية سلوى يوسف (جيان عفرين) واثنين من رفاقها، وجاء في التعزية أنّ "سلوى" لعبت دوراً قيادياً مهماً في محاربة داعش عام 2017، فيما وصفها المسؤول التركي بأنها إرهابية، وأوضح أنّ مثل هذا التصرف لا يمكن قبوله على الإطلاق في سياق مكافحة الإرهاب والتحالف القائم بين تركيا والولايات المتحدة في إطار حلف شمال الأطلسي (الناتو). بحسب وكالة الاناضول. (77)

وأشار وزير الخارجية التركي مولود تشاوش أوغلو، الأربعاء 27/7/2022، إلى أنّ تعزية الولايات المتحدة مؤشّر على عدم صدقها في محاربة الإرهاب. وأوضح أنّ رسالة التعزية التي نشرتها القيادة المركزية للقوات الأمريكية CENTCOM مؤشّر على عدم صدق واشنطن في حربها ضد الإرهاب. وأضاف أوغلو، في حديث متلفز على قناة "تي في 100" التركية:



"ما فعلته القيادة المركزيّة الأمريكيّة غير مقبول، إنّه مثال جيد على نفاق الولايات المتحدة في الحرب ضدّ الإرهاب". وأضاف إنّ "الولايات المتحدة وروسيا لم تفيا بوعودهما بإخراج من سماهم "الإرهابيين" من المنطقة، وهذا يدل على عدم إخلاصهما في محاربة الإرهاب". (78)

يمكن اعتبار تصريحه المسؤولين التركيّين، موقفاً اعتيادياً من أنقرة، التي دأبت على توصيف قوات سوريا الديمقراطيّة بالإرهاب، ولكنه يأخذ بعداً خطراً، لأنّ أنقرة هي التي استهدفت القيادة الكرديّة التي ساهمت في حرب الإرهاب، وذلك بعد أيام قليلة من تصفية التحالف الدوليّ المدعو "ماهر العكال" ما يسمّى "والي بلاد الشام" في منطقة عفرين المحتلة، ليكون ذلك تأكيداً على أن أنقرة لا تدعم "داعش" وتحتضن قياديه وتسهم في انبعائه، بل تقوم بعمليات انتقام بالنيابة عنه أيضاً.

## أسرى داعش والتحدّي الأمنيّ



السجون والمخيمات التي تحوي الإرهابيين وعائلاتهم تعاني من تردّد عام في الظروف بسبب ضعف الإمكانيات والحصار المفروض على المنطقة والتهديدات الأمنيّة التركيّة وتشهد بشكل شبه يومي حالات قتل واغتيال لموظفي منظمات دوليّة وعناصر القوى الأمنيّة.

وفيما نتحدث أنقرة عن مخاوف أمنيّة افتراضيّة، فإنّ أيّ هجوم تركي سيكون تحدياً أمنياً جدياً وكبيراً، وسيدفع قوات سوريا الديمقراطية للتركيز على جبهات القتال ومواجهة العدوان، ما يحتمل بدرجة كبيرة إضعاف القدرة الأمنيّة لحماية السجون الخطرة، التي تضم آلاف عناصر "داعش" وكذلك المخيمات التي تضم عشرات الآلاف من عوائلهم. وقد يفتح المجال لتكرار سيناريو سجن غويران - الحسكة، وإمكانية هروب آلاف الإرهابيين المدربين مع عائلاتهم (وبينهم الآلاف من الأجانب)، وإن كان بعضهم سينخرط في الأعمال القتاليّة مجدداً فإنّ أعداداً كبيرة ربما المئات ممن يحملون جنسيات أوروبيّة سيحاولون التماس طريق العودة بطريقه أو بأخرى إلى بلدانهم الأصليّة، دون ضمان أنّهم اعتزلوا أو تخلّوا عن الأساس الفكريّ للتنظيم، بل مع بقائهم على ذمة البيعة لما يسمّى "الدولة الإسلاميّة"، لينضمّوا إلى طوابير "الذئاب المنفردة"، لتنفيذ عمليات انتقاميّة، ما يهدد الأمن والاستقرار في العديد من الدول، وتتكرر المشاهد الدمويّة مثل تفجيرات بروكسل وبرلين وباريس.

وإزاء التهديد التركيّ يفترض بالدول والحكومات وبخاصة الأوروبيّة، ألا تلوذ بالصمت، وإن كانت المصالح الاقتصاديّة هي الدافع وراء موقفها، الذي خذل الإنسانية فيما سبق، فإنّها ينبغي أن ترجّح الأولوية الأمنيّة، وألا تعقّد صفقات على حساب أمن شعوبها وسلامة مجتمعاتها.



تعتبر السجون والمخيمات خزاناتٍ بشريةٍ لعناصره وحاضنته، ولذلك طالب "أبو بكر البغدادي" عناصره خارج السجون في تسجيل صوتي في 16/9/2019، بعنوان "وقل اعملوا"، بالعمل سريعاً على تحرير المعتقلين، وقال: "السجون، السجون يا جنود الخلافة، فإخوانكم وأخواتكم، جدّوا في استنقاذهم ودك الأسوار المكبلة لهم، فكّوا العاني...". وقصد بالرسالة أيضاً المعتقلين، بوعدهم بالتحرير، ليرفع معنوياتهم وأنّه لم يتخلّ عنهم، كما خصّ بحديثه "نساء داعش". (79)



في 29/9/2021 وعلى هامش اجتماعات الدورة 76 للجمعية العامة للأمم المتحدة، أطلق إطار عالمي معني بدعم العائدين من مواطني دول أخرى في سوريا والعراق، بهدف مساعدة عشرات الدول الأعضاء لمعالجة وضع الآلاف من الأطفال والأسر الأجانب في المخيمات في البلدين، والذين انضموا إلى صفوف "داعش". وقال الأمين العام إن هذا الوضع لا يمكن أن يستمر، محذراً من أن المجتمع الدولي سيظل يواجه مخاطر أمنية طويلة المدى، إذا لم يعالج هذه الأزمة الحقوقية بطريقة شاملة. وأوضح أن الإطار العالمي يوفر حلاً لإنهاء هذه الأزمة بصورة عاجلة. ولكن الجهود الدولية لم تغادر أطر المروحة في حدود التصريحات ولم تُترجم إلى أفعال واقعية تنهي أزمة "المكان الأكثر خطورة في العالم". (80)

في 13/10/2019 وكان رابع يوم للعدوان التركي على شمال سوريا، أعلنت الإدارة الذاتية "فرار 785 شخصاً" من أفراد عائلات تنظيم "داعش" من مخيم عين عيسى، الذي يقطنه نحو 13 ألف نازح بينهم أجانب من عائلات تنظيم "داعش". وذلك بعدما طاله قصف القوات التركية، وانسحبت الحامية التابعة لقوى الأمن الداخلي من المخيم بعد أعمال شغب قامت بها عوائل مقاتلين تنظيم "داعش" داخل المخيم إثر القصف التركي على أطرافه. كما تم نقل عدد كبير من عناصر حماية سجن الحسكة إلى الجبهات، ولم يبق إلا عدد محدود من العناصر الأمنية، رغم أنّه يحوي ما يقرب من 5 آلاف سجين. (81)

في 16/10/2019 حذر مجلس الأمن الدولي بالإجماع من خطر فرار سجناء تنظيم "داعش" من شمال سوريا، نتيجة العملية العسكرية التركية هناك. وأعرب أعضاء المجلس "عن قلقهم البالغ من مخاطر أن يتفرق إرهابيون من مجموعات حددتها الأمم المتحدة ومن بينها داعش". (82)

وقد طالبت الإدارة الذاتية في شمال سوريا وشرق سوريا المجتمع الدولي مراراً بدعمها وحل قضية عناصر داعش بإنشاء محاكم عادلة لمقاضاتهم، كما دعت الدول والحومات لاستلام رعاياهم من النساء والأطفال، وأكدت أنّ بعض السجون عبارة عن أبنية غير مجهزة بما يلزم لتكون آمنة.



وتتوزع عوائل "داعش" على 3 مخيمات رئيسية هي روج والهول وعين عيسى، وأخطرها على الإطلاق هو مخيم الهول والذي يصفه مراقبون بأنه "قنبلة موقوتة" ويضم بحسب آخر الإحصائيات الرسمية 55829 شخصاً بينهم 28725 من حاملي الجنسية العراقية و18850 نازحين سوريين و8254 من الجنسيات الأجنبية. يُضاف إليهم وجود أكثر من 19 ألف عنصر من "داعش" في سجون الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا.

ومنذ مطلع العام الجاري إلى اليوم، سجّلت إدارة المخيم 29 جريمة قتل، لـ 12 سورياً، بينهم مُسعف في النقطة الطبية للهلال الأحمر الكردي، و14 شخصاً من اللاجئين العراقيين الذين يُشكّلون أكثر من نصف عدد سكان المخيم، وثلاث جثث مجهولة الهوية، عدا عن 15 محاولة قتل باءت بالفشل. (83)

وصف عمران رضا، منسق الأمم المتحدة في سوريا، الثلاثاء 28/6/2022، مخيم الهول بأنه "مكان قاس جداً وغير آمن بشكل متزايد"، وكشف عن 106 جرائم قتل حصلت منذ كانون الثاني من العام الماضي في المخيم، وأنّ "الكثير" من بين الضحايا كانوا نساء. وأشار "رضا"، خلال حديثه للصحفيين في جنيف، إلى أنّ المخيم يعاني من حالة انعدام الأمن، في حين يُحكم على الأطفال الموجودين فيه بـ "حياة بلا مستقبل"، إذ أنّ 94% من الموجودين فيه هم نساء وأطفال، واعتبر عمران أنّ "الحل الوحيد هو إفراغ المخيم". (84)

ويشهد المخيم من وقت لآخر أعمال عنف، من جرائم قتل واعتداءات وحرق للخيم وتطال جرائم القتل عناصر الحماية الأمنية وحتى الطواقم الطبية، وتنوّعت طرق القتل بين إطلاق النار مباشرة والذبح، واللافت هو نشاط النساء اللاتي أنشأن الحسبة النسائية لمحاسبة النساء ومقاضاتهن وفق شرعة "داعش" والولاء لما يُسمّى "الخلافة"، كما يشهد المخيم محاولات هروب مستمرة، وقد أفادت نساء من الجنسية المغربية أُلقي القبض عليهن أنّ وجهتهن كانت إلى الأراضي التركية، وأنّ عملية التهريب تتم عبر منطقة رأس العين / سري كانيه وجرابلس المحتلة ومحافظة إدلب، وأنّ هيئة الإغاثة الإنسانية وحقوق الإنسان والحريات التركية IHH هي التي تقدم الدعم المباشر لتأمين تهريبهن. (85)

## التجاهل الغربي للمنطقة أفسح المجال للتهديد التركي

الحرب الروسية في أوكرانيا والتي بدأت في 24/2/2022، أحدثت متغيّراً كبيراً في السياسة الدولية، ورفعت سقف المخاوف الأوروبية لدرجة أنها دفعت السويد وفنلندا لطلب الانضمام إلى حلف الأطلسي، ما يمكنه خلق ثغرة بالنظام الأمني الأوروبي، واستغلت أنقرة النظام الداخلي للنادي الأطلسي، لرفض انضمام الدولتين الاسكندنافيتين إلا بشرط إجراءات أمنية حيال مواطنين كرد بعضهم حاصل على الجنسية السويدية، بذريعة الأمن، الأمر الذي يؤدي إلى حرف أنظار أوروبا عن خطر انتقال عناصر "داعش" عبر حدود دول القارة العجوز.

لم تتح الحرب الأوكرانية لمختلف الدول الفرصة لاتخاذ مواقف حيادية، وفرضت عليها الحسم إما مع أو ضد، وبعبارة أخرى إما الدفع للانضمام إلى حلف الناتو كما في حالة السويد وفنلندا، أو الانقياد إلى روسيا لأسباب تتعلق بأزمة الغاز والطاقة والغذاء، وبذلك تُعاد صياغة العالم على أساس التحالفات الكبرى بدافع المخاوف المتعددة، وليطرح السؤال جدياً حول احتمالات المواجهة بين القوى الكبرى، التي ما زالت حالياً في طور الدعم العسكري لأوكرانيا مقابل العقوبات الاقتصادية على روسيا.

الاهتمام الدولي بالحرب في أوكرانيا انعكس مباشرة على الميدان السوري، وفيما كانت الأزمة السورية في بؤرة الاهتمام الدولي في أولى سنواتها، فقد انحسر هذا الاهتمام بشكل ملحوظ، وافتقر للتوازن، وانفردت موسكو بإدارة الأزمة ما أطال في أمدها، واستطاعت استقطاب الدور التركي، عبر منصة أستانه فكانت النتيجة تدخلاً تركياً مباشراً واحتلالاً لبعض المناطق. وتستغل أنقرة فرصة الانشغال الدولي وتحديداً الروسي بالحدث الأوكراني لتنفيذ عملية عسكرية جديدة في سوريا.



لنتأكد مجدداً من حجم العجز الدولي وغياب الدور الفاعل من جانب الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومجمل دول الاتحاد الأوروبي، وانتقائية دورها، الذي لم يتجاوز تشكيل التحالف الدولي لمحاربة "داعش"، رغم أن "الإرهاب" كان أحد مفرزات الأزمة في الشرق الأوسط وتحديداً سوريا وكذلك التناقض الدولي، والتساهل إزاء ظاهرة انتقال العناصر الجهادية المتطرفة عبر مطارات العالم والحدود، وتتحول سوريا بالنتيجة إلى بؤرة استقطاب جهادية على مستوى العالم.

يؤكد استمرار الحوادث الإرهابية في سوريا والعراق ودول أخرى، أنه ما زال مصدر خطر حقيقي، رغم أنه فقد عامل الارتباط المركزي، وعلى سبيل المثال قال تنظيم "داعش" الجمعة 3/6/2022، إنه نفذ 36 عملية حول العالم خلال فترة أسبوع (ما بين 27 أيار و3 حزيران الماضيين)، وبحسب ما نُشر في جريدة "النبا" الإلكترونية الناطقة باسمه، فإنّ عمليتين نُفذتا في محافظة دير الزور، و13 عملية في العراق، إضافة إلى 10 عمليات في إفريقيا، و7 في إيران، و3 عمليات في موزامبيق، وواحدة في الصومال. (86)

هذا العدد من العمليات والتنوع في المواقع المستهدفة يشير إلى حجم التهديد الدولي ويستدعي تنسيقاً وجهوداً دولية لمحاربته، ولكن التعاون الدولي لم يرتق حتى اليوم إلى مستوى التهديد. ويكشف تكرار الاعتداءات الإرهابية فشل المقاربة الأمنية والعسكرية في مكافحة الإرهاب، والذي يفترض بحث الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وعوامل الاحتقان التي تغذي التطرف، وتؤدي إلى رفد الجماعات الإرهابية باختلاف أسمائها بعناصر جديدة مستعدة لقتل الأبرياء أو تنفيذ عمليات انتحارية، وبثّ الخوف والرعب في مختلف بلدان العالم دون إمكانية التكهن المسبق بالمواقع المستهدفة.

ووفق هذا المنحى فإنّ وجود عناصر "داعش" وحاضنته الفكرية في مناطق النفوذ التركي، لا يخالف مسار التعاون الدولي وحسب، بل هو محاولة لإجهاضه عبر تحويل عناصر التطرف إلى أداة لتنفيذ أجناس سياسية وتهديد أمن الدول والشعوب، ويأخذ الدور التركي صورة أكثر خطورة بانضمام الآلاف من الأتراك إلى صفوف التنظيمات المتطرفة، ودورها السلبي في التمرير العكسي لهذه العناصر إلى أوروبا.

## أوروبا غير مستعدة لاستقبال أعداد إضافية من المهاجرين

من طبيعة أي حرب أنّها تدفع بالأهالي والمدنيين للنزوح واللجوء، وأيّ عدوان تركي جديد سيتسبب بموجات نزوح وهجرة جديدة، ومع اضطراب العلاقة مع تركيا ومساعدتي الأخيرة في إعادة اللاجئين السوريين على أراضيها، فإنّ دول الاتحاد الأوروبي ستكون أكثر الجهات احتمالاً ليقصدها مزيد من السوريين، ذلك لأنّ الهجوم التركي إن بدأ لا يمكن التكهن بمآلاته، وبخاصة مع عدم القبول الروسي والإيراني بالعملية الجديدة، وبالنظر إلى المتغير في موقف دمشق، والدعم المباشر من حليفها، فإنّ أيّ عدوان جديد سيكون منفتحاً على احتمالات التصعيد، وتوسّع نطاق المواجهات.

ويبدو على مدى السنوات الماضية أنّ الدول الأوروبية وصلت إلى حدّ الكفاية في إمكانية استقبال اللاجئين من الشرق الأوسط وبخاصة السوريين، ومن المؤكد أنه مع تغيّر الظروف الاقتصادية وحالة الغلاء غير المسبوقة التي تشهد أوروبا، مع الحرب في أوكرانيا، فإنّ أيّ زيادة بعدد اللاجئين ستكون له مضاعفات ليس اقتصادية، وحسب بل اجتماعية أيضاً، وستكون له انعكاسات مباشرة على النظام الصحي، فالعالم لم يتعاف بعد من تداعيات وباء كورونا، إضافة لتأمين السلامة الصحية الاعتيادية، وعلى المستوى الاجتماعي فالحديث جدّي عن الصدمة الاجتماعية في مهاجر الاغتراب بالنسبة للسوريين، ما سيؤثر في بنية مجتمعات اللجوء، لأنّ القادمين لم يصلوا إلى أوروبا بقرار إرادي، بل فرضت عليهم الظروف ركوب البحر والسير في الغابات للوصول إلى المأمن الأوروبي، ولا يمكن ضمان أن كلّ هؤلاء الناس لديهم قابلية الاندماج في المجتمعات الأوروبية، بعد أكثر من عقد من الحرب الأهلية والصراع الطائفي والمناطق العنثي.



## المنطقة الآمنة وفق القانون والعرف الدولي

مبدئياً لا يوجد تعريف بمقتضى القانون الدولي لمصطلح المنطقة الآمنة Safety Zones، رغم تداول هذا المصطلح في العيد من المناسبات والمواقع في العالم، ويُقصد به المحاولات الهادفة لحماية مناطق معينة، بإعلانها مناطق خارج إطار الصراع المسلح. ولم يرد هذا المصطلح في اتفاقيات جنيف الأربع عام 1949، وفي البروتوكولات الملحق بها عام 1977، ولكن وردت ثلاثة أنواع من المناطق: مناطق طبية Hospital Zones، ويقصد بمناطق الاستشفاء الطبي، ومناطق محايدة Neutralized Zones، والمجردة من وسائل الدفاع، ومناطق منزوعة السلاح Demilitarized Zones.

وأيّاً كانت التسمية، يجب على الأطراف المنخرطة في النزاع الاتفاق على تحديد هذه الأماكن أو المناطق وألا يوجد فيها قوات مسلحة أو أسلحة وألا يمارس أهلها أي نوع من المقاومة، ويتم الاكتفاء بعدد محدود من العناصر الأمنية بما يفي بمهمة حفظ الأمن.

### مناطق طبية Hospital Zones:

ويقصد بمناطق الاستشفاء الطبي، وهي المناطق والمواقع التي تقام على أراضي طرف من أطراف النزاع أو على أرض محتلة بهدف حماية الجرحى والمرضى من أفراد القوات المسلحة، بالإضافة إلى أفراد الخدمات الطبية المعينين في كل منطقة، من آثار الحرب. وترى اتفاقية جنيف الأولى قيام الدول بإنشاء مثل هذه المواقع حتى في أوقات السلم وتوقيع اتفاقيات خاصة مع الطرف الخصم في أوقات النزاع، وبهذا الصدد، توفر المعاهدة "مشروع اتفاق بشأن مناطق ومواقع الاستشفاء" (الملحق 1).

يجب على الأطراف المعنية توقيع اتفاقيات للتمييز المشترك لمناطق ومواقع المستشفيات التي أقاموها، والتي يجب تمييزها بشعار مناسب وواضح، ويتكون هذا الشعار من صليب أحمر أو هلال أحمر أو الأسد أو الشمس الأحمرين على خلفية بيضاء يوضع على الفناء الخارجي وعلى المباني (اتفاقية جنيف 1 المادة 23 والملحق 1). وكرّرت اتفاقية جنيف الرابعة التأكيد على فكرة مناطق ومواقع المستشفيات التي حدّتها اتفاقية جنيف الأولى (اتفاقية جنيف 4 المادة 14 والملحق 1).

### مناطق محايدة Neutralized Zones:

يمكن إقامة مناطق محايدة في مناطق يقع فيها القتال، وتهدف مثل هذه المناطق إلى حماية الأشخاص المحدّدين فيما يلي دون تمييز من آثار الحرب، وهم: الجرحى والمرضى من المقاتلين وغير المقاتلين، والمدنيون الذين لا يشاركون في أعمال عدائية ولا يؤدون عملاً ذا طبيعة عسكرية أثناء إقامتهم في هذه المناطق. ويمكن لأطراف النزاع، والدول المحايدة أو المنظمات الإنسانية أن تبادر إلى إقامة منطقة محايدة. ويجب على أطراف النزاع عقد وتوقيع اتفاق كتابي يحدّد بداية وفترة تحييد المنطقة، بالإضافة إلى تفاصيل موقعها الجغرافي، والإدارة، والمواد الغذائية، والإشراف (اتفاقية جنيف 4 المادة 15).

### مناطق منزوعة السلاح Demilitarized Zones:

وهي المناطق التي يحظر فيها على أطراف النزاع القيام بعمليات عسكرية، أو استعمال هذه المناطق لأي هدف يرتبط بسير العمليات العسكرية.

يجب أن تحدّد هذه المناطق في اتفاقية صريحة، تبرم إما في وقت سلام أو بعد اندلاع العمليات العدائية. ويمكن أن تكون اتفاقية شفوية أو مكتوبة وتبرمها أطراف النزاع مباشرة أو من خلال وساطة دولة حامية أو منظمة إنسانية محايدة. ويجب وضع علامة واضحة على منطقة منزوعة السلاح إلى الحدّ الممكن بعلامات يجري الاتفاق عليها مع الطرف الآخر. ولكي تكون منطقة ما "منزوعة السلاح"، يجب أن توفر الشروط التالية:



— إجلاء جميع المقاتلين وكذلك الأسلحة المتحركة والمعدات العسكرية المتحركة عنها.

— ألا تستخدم المنشآت والمؤسسات العسكرية الثابتة استخداماً عدائياً.

— ألا ترتكب أية أعمال عدائية من قبل السلطات أو السكان.

— توقف أي نشاط يتصل بالمجهود الحربي (البروتوكول 1 المادة 60).

ولا يجوز لأي طرف من أطراف النزاع أن يلغي من طرف واحد وضع منطقة منزوعة السلاح، ما لم يفشل أحد أطراف النزاع في احترام هذه الشروط أو يستخدم المنطقة لأغراض ترتبط بإدارة العمليات العسكرية. وفي مثل هذه الحالات، يُعفى الطرف الآخر من التزاماته بموجب اتفاقية أولية، وفي مثل هذه الحالة، تفقد المنطقة وضعها ولكنها تظل متمتعة بالحماية التي توفرها قواعد القانون الإنساني (البروتوكول 1 المادتان 6-60 و7-60).

المنطقة الآمنة مصطلح أطلق على مواقع أقامتها الأمم المتحدة في جمهورية البوسنة والهرسك، وقد طرح مجلس الأمن لأول مرة مفهوم "المناطق الآمنة" في منطقة سربرنيتشا والمناطق المحيطة بها، بموجب القرار S/RES/819 الصادر في 16 نيسان / أبريل 1993، ثم وسّعها لتشمل توزلا، وزيبا، وبيهاش، وجورازدي، وسراييفو بموجب القرار S/RES/824 الصادر في 6 أيار / مايو 1993.

وكان هدف هذه القرارات حظر أي نشاطات عسكرية داخل وحول هذه المناطق وبهدف السماح بنشر قوة الأمم المتحدة للحماية التي كان الهدف منها هو ضمان توزيع المساعدات الإنسانية، وتمّ اعتماد القرارين على أساس الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، الذي يجعلهما ملزمين لكافة الدول، ولم يخضعا لاتفاقية خاصة بين أطراف النزاع. بالإضافة إلى ذلك، فوّض مجلس الأمن في قراره رقم S/RES/836 الصادر في 4 حزيران / يونيو 1993، والذي تمّ اعتماده بموجب الفصل السابع أيضاً، قوة الأمم المتحدة للحماية لاستعمال القوة "لردع الهجمات ضد المناطق الآمنة".

وحسب العرف الدولي، تتطلب إقامة المنطقة الآمنة أولاً: الاتفاق بين الأطراف المتنازعة على إقامتها، وثانياً: إزالة الصفة العسكرية عن المنطقة، وإخضاعها للإدارة المدنية، وثالثاً: ألا تحدّد الأطراف المتنازعة ترتيبات للدفاع عنها، لأنّ وجود طرف عسكري جاهز للدفاع عنها، سيُعرّضها للدخول في الحرب مرةً أخرى.

بالمجمل يفتقر مشروع إنشاء المنطقة الآمنة الذي تروّج له أنقرة لأدنى الشرو القانونية وهو يختلف عن وضع الحرب في يوغسلافيا، والحرب في راوندا حيث تعرض أفراد قبيلة الهوتو لمجازر جماعية عام 1994، وأسندت مهمة إقامة المنطقة الآمنة للقوات الفرنسية.

المسؤولون الأتراك يتحدثون في وادٍ آخر، فالجغرافيا المزعم إقامة المنطقة الآمنة عليها تطابق خريطة "الميثاق الملي" وهي المناطق التي أجبرت الدولة العثمانية على التخلي عنها بسبب مؤامرة دول الغرب، وهم بصدد استعادتها، وبذلك فالهدف احتلاي يتعلق بطموحات توسعية.

كما يبرز المسؤولون الأتراك العمليات العسكرية التي نفذتها بلادهم في الأراضي السورية، بذريعة الأمن القومي التركي والتهديدات المحتملة من الأراضي السورية، ولكنهم في الوقت نفسه يروجون لإقامة آمنة ليعيش فيها اللاجئين السوريون، والفرق كبير بين الذريعتين.



واقعيّاً لا تملك أنقرة أدلة مؤكدة أنّ الأراضي السوريّة هي مصدر التهديد لأمنها القوميّ، ولم تشكّ من تلك المخاطر عندما سيطر تنظيم "داعش" على مناطق حدوديّة، في تل أبيب وكوباني وجرابلس، إلّا أنّها تعتبر أنّ القوة العسكريّة التي دحرت "داعش" والمتمثلة بقوات سوريا الديمقراطيّة هي مصدر التهديد، ومن حيث المبدأ فإنّ هذه القوات تعمل بالتنسيق مع التحالف الدوليّ لمكافحة الإرهاب، ولا يمكن في هذا التنسيق أن تشكّل أدنى خطر على الأمن القوميّ التركيّ. وفيما لو ثبت أنّ وجود حالة صراع مسلح عبر الحدود وخطر أمنيّ مصدره الأراضي السوريّة، فالحلّ عندئذٍ إقامة منطقة عازلة، منزوعة السلاح برعاية دوليّة، ومعلوم أنّ الأمم المتحدة تتدخل في الصراعات المسلحة بين الدول لإنشاء منطقة فصل القوات بإشراف قوات القبعات الزرقاء الأمميّة.

وأما إقامة منطقة آمنة من أجل تأمين حياة المدنيين فلا يمكن أن يكون على حساب التهجير القسريّ لأهالي المنطقة الأصلاء وانتزاع ملكياتهم، وإحلال آخرين في قراهم وبلداتهم، بل إن ذلك ينطوي على تغيير ديمغرافيّ وهو يصنّف انتهاكاً لحقوق الإنسان.

لكن الأكثر ثباتاً هو الدور التركيّ الذي انخرط في الأزمة السوريّة، وباتت المرجعية المباشرة لكلّ الفصائل المسلحة السوريّة، وحوّلتها إلى جيشٍ تركيّ رديف، كثيرٌ يحمل أسماء سلاطين العثمانيّة، كما أنّ الجيش التركيّ احتل مناطق واسعة في شمال سوريا عبر عمليات عسكريّة استخدمت مختلف صنوف الأسلحة وأدى ذلك موجات من التهجير القسريّ، ويرفع في المناطق المحتلة العلم التركيّ، ولا يجوز لها بعدما باتت طرفاً مباشراً في الصراع المسلح، أن تنشئ منطقة آمنة!

والسؤال الذي يجب طرحه، ما الذي يمنع اللاجئين السوريين من العودة إلى مناطقهم الأصليّة، ولمن تركت تلك المناطق، ليكون البديل منطقة آمنة؟ الإجابة على هذا السؤال تحتاج فهماً لتسلسل الأحداث التي أفضت إلى الواقع الحالي!

المفارقة أنّ عشرين طيلة سنوات الإدارة الذاتيّة عاشت فترة هدوءٍ وازدهرت فيها الحالة الاقتصاديّة واستقطبت الاستثمارات، وكانت منطقة آمنة وملاذ السوريين من مختلف المناطق وبخاصّة أبناء ريف حلب الشماليّ، ولم تشهد حوادث أمنيّة أو جنائيّة كبيرة، وفي ذلك الوقت كانت مختلف المناطق السوريّة تشهد صراعات مسلحة، وتفتقر لأدنى مقومات الحياة وفي مقدمها الأمن والاستقرار. فيما انقلبت الأوضاع رأساً على عقب بعد الاحتلال التركيّ لها، ليكون ذلك دليلاً على حقيقة الأهداف التركيّة المتمثلة بالسيطرة والاحتلال وتهجير الأهالي.

## المبادرات الأمريكيّة انحازت لأنقرة



في مقاربة للحلّ الذي يمنع أنقرة من شنّ عمليّة عسكريّة شمال سوريا كتب السيناتور الجمهوريّ ليندسي غراهام مقالاً تحت عنوان: "صعود داعش في سوريا تهديدٌ لأسلوب حياتنا الأمريكيّ"، ونُشر في موقع فوكس نيوز في 30/6/2022.



أي قبيل زيارته إلى المنطقة، وأشار إلى أنه يجب على الكونغرس والرئيس بايدن العمل معاً لإيجاد حل في سوريا قبل فوات الأوان.

وفيما يتصل برؤيته للحل الذي يمنع عملية عسكرية تركية قال: "الحل الذي أرى أنه الأكثر قابلية للتطبيق هو معالجة مصالح الأمن القومي لتركيا مع تطوير علاقة تجارية في الوقت نفسه بين الحكومة التركية وسكان شمال شرق سوريا. هناك حقول نفط في شمال شرق سوريا يمكنها، مع المزيد من الاستثمار، إنتاج كميات أكبر من النفط، وهو ما يعود بالفائدة على كل من سوق النفط العالمية واقتصاديات شمال شرق سوريا وتركيا. أفضل طريقة لحل هذه المشكلة بمرور الوقت هي جعلها مربحة للجانبين لسكان شمال شرق سوريا وحلفائنا الأتراك، سواء على الصعيد الأمني أو الاقتصادي.

وأقر غراهام بأن المشكلة التي تلوح في الأفق في شمال شرق سوريا تتمثل بمخاوف الأمن القومي "المشروعة" لحليفنا التركي في منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو). وقوات سوريا الديمقراطية، القوة الأساسية التي تم الاعتماد عليها لتدمير خلافة "داعش" في سوريا، إلى جانب الدعم الأمريكي.

وأضاف: "أطلع إلى العمل مع إدارة بايدن لإيجاد حل لهذه المشكلة المتنامية. من الضروري أن نعترف بمخاوف الأمن القومي المشروعة لتركيا، وأن ننشئ مناطق عازلة بين العناصر التي تعتبرها تركيا جماعات "إرهابية"، وأن ندعم أولئك الذين ساعدونا في تدمير الخلافة المادية، ونضمن عدم ظهور "داعش" مرة أخرى.

من الواضح أن المقاربة التي أجراها غراهام غير واقعية، وتنطوي على تناقض، فمن جهة ذهب بعيداً في استرضاء أنقرة، والإقرار بمخاوفها الافتراضية، لكونها حليفاً في إطار الناتو، وفي الوقت نفسه وصف قوات سوريا الديمقراطية بالحليف، وقدم إغراء اقتصادياً لأنقرة، وبالغ في تصور حجم كميات النفط بالمنطقة، وبالمجمل فإن الإدارة الذاتية لا يمكن أن تقدم على خطوة من هذا القبيل، وقد سبق أن قالت إن مسألة النفط والثروات الباطنية لم يتم حسمها، وستخضع للحوار الوطني، وإن كانت ترفض ذلك من حيث المبدأ، فإن رفضها بالنسبة لتركيا سيكون أكثر إصراراً.

غراهام جاء إلى المنطقة وزار أنقرة وأربيل والإدارة الذاتية في شمال وشرق سوريا، وزار سجن الحسكة ومخيم الهول ولم يكتف بالميل الكامل إلى جانب أنقرة في مزاعمها الافتراضية، بل عبر عن تأييده لصفحة طائرات إف 16 لتركيا، أي بتمكينها بتملك المزيد من أسباب القوة، رغم أن تلك القوة تُستخدم في العدوان على شعوب المنطقة. (87)

وبحسب ميغان بوديت رئيسة قسم الأبحاث في معهد السلام الكردي، فإنه يجب فهم زيارة غراهام إلى سوريا على أنها إعادة لصياغة الدور الفاشل لترامب في سوريا، والذي أدت للاحتلال التدميري. وأن غراهام اقترح سياسة مضللة وغير قانونية تدعو الشركات التركية لتطوير حقول النفط في شمال وشرق سوريا، مع العلم أن الاستثناء العام من العقوبات لا يشمل قطاع النفط بسبب أمور قانونية... وأضافت إن زيارة غراهام إشارة إلى أن نفوذ تركيا متلاش، لكنه في الوقت نفسه، إشارة إلى سياسة موجودة في واشنطن تجاه شمال وشرق سوريا والتي كانت خلال عهد ترمب خطرة ومزعزعة للاستقرار ولم تؤد إلى أمن أفضل... وزيارة غراهام كانت من أجل مصلحته ومن أجل الترويج لنفسه ليظهر أنه فاعل في مجال السياسة الخارجية وتصبّ الزيارة في مصلحة تركيا ومحاولتها الحصول على تنازل في ملف إف 16، وتنازلات في موضوع شمال وشرق سوريا. وهناك جزء من الحزب الجمهوري المحافظين الجدد أكثر من الصقور يريدون التصعيد مع إيران وإبقاء علاقة جيدة بتركيا رغم أن ما تفعله من زعزعة للشرق الأوسط، ما يعيد تصريحات ترمب استخدام شمال وشرق سوريا ضد إيران. (88)



## تناقض واختلاف بالأولويات

يُذكر أنه قبل العدوان التركي على شمال سوريا، طرح المسؤولون الأمريكيون موضوع المنطقة الآمنة، وأدى التباين في الأولويات بين الحليفين الأمريكي والتركي، إلى ظهور حالة معقدة متداخلة لخرائط حل الأزمة، على أنها ترضي الأطراف الثلاثة (تركيا، وأمريكا، وقسد)، وأوفدت واشنطن في 22/7/2019 أرفع مسؤول أمريكي إلى شرق سوريا، ممثلاً بقائد المنطقة الوسطى في القيادة المركزية للتحالف الدولي، الجنرال كينيث ماكينزي، والذي عقد اجتماعاً مع القائد العام لقوات سوريا الديمقراطية، مظلوم عبيد بالتزامن مع لقاء جمع مبعوث واشنطن إلى سوريا، جيمس جيفري، بوزير الخارجية التركي ومسؤولين أتراك في أنقرة لبحث "المنطقة الآمنة".

أظهرت الاجتماعات اللاحقة مزيداً من الخلاف على مسائل تتعلق بالعمق الذي ستشمله المنطقة الآمنة، والذي سيدخله الجيش التركي، وطبيعة هذه القوات ودورها العسكري، وكان الخلاف حول جملة من الأرقام، تختصر مطالب كل طرف: فأنقرة حددت مسافة 30 كم، واقترح الجانب الأمريكي مسافة 10 كم، فيما قالت قسد أن مسافة 5 كم تلبي الحاجة على أن تشرف عليها قوات دولية بقرار أممي، ووفقاً للتصور الأمريكي فإن المنطقة المقترحة تشمل المدن الحدودية مباشرة، فيما ستكون منبج ستكون خارج إطار البحث.

كان واضحاً أن تمسك أنقرة بمطلب مسافة 30 كم يعني الوصول إلى المزيد من البلدات وحتى الطريق الدولي إم - 4 وهو شريان التواصل الرئيسي بالمنطقة ويمتد من مدينة الحسكة وتل تمر وصولاً إلى بلدة عين عيسى، ويستمر بعده إلى مدينة حلب وسائر مناطق الداخل السوري، ما يعني تقطيع المنطقة ومنع التواصل بين أجزائها، في صورة هي أقرب للحصار والعزل ما تصعب معه شروط الحياة الطبيعية.

وفي محاولة لنزع الذرائع، وفي مواجهة الحجة التركية وافقت قوات سوريا الديمقراطية على الانسحاب من البلدات والمناطق الحدودية، مع سحب كامل السلاح الثقيل الذي يصل مداه إلى 20 كم. على أن تقوم قوات المجالس العسكرية بمهمة حفظ الأمن، وهي قوات محلية تضم في صفوفها فقط أبناء تلك المناطق. فيما تقوم قوات دولية من ضمن التحالف الدولي أو أي قوة دولية حيادية بمهمة "الدوريات الحدودية"، ولا يقبل أن تكون تركيا، لأنها طرف في النزاع، وخروج قوى الاحتلال التركي من عفرين شرط أساسي للقبول بمشاركة تركيا في دوريات مراقبة الحدود.

## زيادة في الحضور الإيراني



من طبيعة المناطق التي يتعدّد فيها الحضور السياسي والعسكري لعدة دول، فإن ذلك يقابله انقسام في توجهات السكان، وأي متغيّر في موقف أحد الأطراف ينعكس تلقائياً على توجهاتهم العامة، وأي عدوان تركي جديد، سيُنظر إليه على أنه شكل من الصفقة السياسية بين القوى الكبرى وأنقرة، وهو ما سيؤثر في مكانة هذه القوى في عموم منطقة الشرق الأوسط،



وسيعُجّ مجدداً مصداقية هذه القوى على المحكّ، في التخلّي عن السكان المحليين ليكونوا ضحايا آلة الحرب التركيّة. وسيترسخ التصوّر السلبيّ للموقف الأمريكيّ، والذي جرى الحديث عنه طويلاً في محطات سابقة وتعميمها على أنّها السياسة المعتمدة، وفقاً للتوجّه البراغماتيّ العام للسياسة الأمريكيّة، وكان مشهد الانسحاب من أفغانستان لصالح طالبان أحدها.

بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكيّة فإنّ إدارة الرئيس جو بايدن مطالبةٌ بتصحيح الخطأ التاريخيّ والإخلال بالتوازن الذي تسبب به قرار الرئيس الأمريكيّ السابق دونالد ترمب لصالح أنقرة لها. وأيّ موقف تتخذه الإدارة الأمريكيّة الحالية سيكون رسالةً مباشرةً إلى العديد من الحكومات في المنطقة. وبخاصة تلك التي التقى الرئيس بايدن زعماءها في قمة جدة في 16/7/2022.

يسود الاعتقاد العام أنّ الولايات المتحدة لم تعد تملك مفاتيح حلّ أزمت الشرق الأوسط، وأنّها تتبع سياسةً ذرائعيةً، وتضخّي بعض علاقاتها لصالح علاقات أكثر ديمومة، وفقاً لحسابات المكاسب السياسيّة، وبالتوازي مع هذا الاعتقاد، يسود رأي أنّ واشنطن توصلت إلى ترتيبات معيّنة مع موسكو، وبخاصة فيما يتصل بملف الأزمة السوريّة، وكان اجتماع القدس الأمنيّ في 23/6/2019 أحد أهم محطات التوافق والذي سبقته اجتماعات قمة في هامبورغ في 7/7/2017، وهلسنكي 16/7/2018، كما أنّ الصعود الصينيّ هو ما يشغل واشنطن، وهو الذي يهدد بأفول نجم الولايات المتحدة في المشهد الدوليّ، وكان المحرك المباشر لزيارة نانسي بيلوسي رئيسة مجلس النواب الأمريكيّ إلى تايوان في 2/8/2022.

وسبق أنّ فشلت واشنطن في حماية المناطق الواقعة خارج العاصمة الصوماليّة مقديشو لتتحول إلى مرتع للجماعات المتطرفة والمليشيات المسلحة، فيما كانت الحرب في أوكرانيا الاختبار الأكبر لوفاء واشنطن في علاقاتها مع حلفائها وأصدقائها، وأقصى ما فعلته هو حزمة عقوبات اقتصادية استطاعت موسكو تجاوزها بسبب تحضيرها الجيد لحرب وإجراءاتها اللاحقة مع أصدقائها.

وفق هذا التصوّر، لن تبدي الإدارة الذاتية الإصرار في التمسك بعلاقاتها مع الجانب الأمريكيّ، وسيكون البحث عن بدائل خياراً واقعياً وإلزامياً في مواجهة العدوان التركيّ المحتمل. وكان واضحاً من خلال ردّ الإدارة الذاتية على مبادرة السيناتور ليندسي غراهام، أنّها تملك الخيار البديل. وكان التفاهم مع حكومة دمشق والتواصل مع الجانب الروسيّ أحد تجليات الخيار البديل.

لكن عاملاً آخر في شرق سوريا، سيتنامى، في ظلّ استمرار المخاطر والتهديد بالعدوان، وهذا العامل موجود فعلياً، وهو الحضور الإيرانيّ، والتي تحرص على البقاء في المناطق القريبة من الحدود مع العراق، ذلك لأنّ إغلاق الحدود يعني انكفاء إيران، وهي غير مستعدة لذلك، وقد دفعت باهظاً ثمن وجودها في سوريا، ولا زالت مواقعها العسكريّة تتعرض للقصف الإسرائيليّ وكذلك لهجمات عناصر "داعش". وتصف طهران الوجود الأمريكيّ بالاحتلال وتروج لفكرة مقاومته.

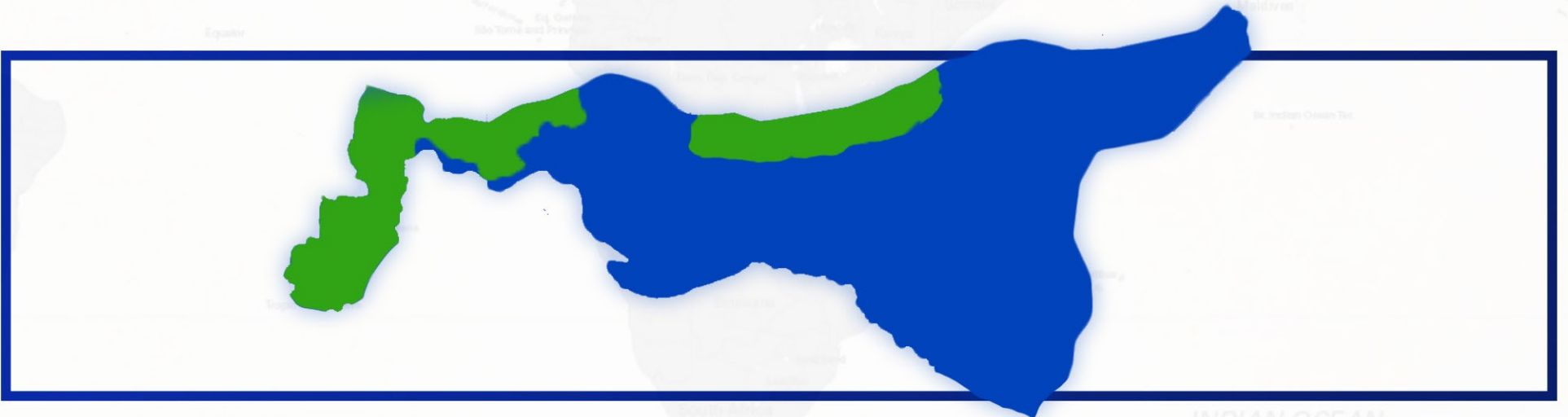
في ريف حلب الشماليّ دفعت طهران بتعزيزات عسكريّة وُصفت بأنّها نوعيّة، إلى محيط بلدتي نبل والزهراء، وبكل الأحوال فإنّ الحضور الإيرانيّ يعتبر قيمة مضافة لصالح نفوذ دمشق وسعيها لاستعادة السيطرة على كامل الجغرافيا السوريّة. وتدرك إيران التداعيات الخطرة لتمدد الفصائل التي تدعمها أنقرة ذات الخلفية الإخوانيّة، ولذلك بادرت للحضور المباشر في ريف حلب الشماليّ.



ثمّة مشتركات عديدة بين الميدانيين العراقي والسوري، من اللجوء العراقي إلى سوريا خلال حرب الخليج الثانية 1991، والعملية العسكرية الأمريكية على العراق عام 2003، ومن بعدها إزالة "داعش" السواتر الترابية على الحدود في 10/6/2014، وإعلان خلافته باسم "الدولة الإسلامية في العراق وسوريا"، والعمليات العسكرية التركية المتتالية في إقليم كردستان، وصولاً إلى المجزرة التي ارتكبتها الجيش التركي عبر القصف المدفعي على مصيف برخ في محافظة دهوك في 20/7/2022، وأودت بحياة 9 عراقيين وإصابة أكثر من 20 آخرين. وكان لافتاً السلوك التصعيدي من قبل العراقيين الموالين لإيران في الخروج للتظاهر ومحاصرة القنصليات التركية والتنديد بالوجود العسكري التركي والمطالبة برحيلها. في تماثل ما بين المشهدين العراقي والسوري.

ومن المشتركات أيضاً أنّ الخطة التركية في إحياء "الميثاق الملي" تشتمل على مناطق شمال سوريا، وفي العراق على محافظتي الموصل وكركوك، والذريعة هي نفسه بالنسبة للعمليات التي يقوم الجيش التركي في إقليم كردستان وهي "الأمن القومي التركي"، وتعمل في الوقت نفسه على تأليب الكرد ضد بعضهم في الدول الثلاث (تركيا وسوريا والعراق). التي لأنّ العدوان التركي إن حدث، فسيكون مسبقاً بانسحاب أمريكي، في تكرار لسيناريو العدوان على شمال سوريا في أكتوبر/ تشرين الأول 2019، فإنّ الميدان العراقي سيشهد مزيداً من الحضور الإيراني، وفق مبدأ أنّ كلّ زيادة ستكون على حساب نقصان! والمشهد في إقليم كردستان مختلف، فحكومة الإقليم تتهم طهران بأنها دعمت ميليشيات شيعية للسيطرة على مدينة كركوك ذات الأهمية التاريخية بالنسبة للكرد في 15/10/2017.

## زيادة في جغرافيا الانتهاكات وعددها



أيّ عملية عسكرية جديدة تعني زيادة الرقعة الجغرافية التي تسيطر عليها الفصائل المسلحة الموالية لأنقرة، فهل نجحت هذه الفصائل في ضبط الأمن في المناطق التي سبق أن سيطرت عليها ليكون ذلك محفزاً لتكرار التجربة؟

رغم الدعاية التركية المكثفة لمسمى "الجيش الوطني"، والذي عملت أنقرة على إطلاقه على أنّه الإطار الذي يجمع كلّ فصائل "المعارضة"، إلا أنّ شيئاً من ذلك لم يتحقق رغم مرور السنوات، ولم تتخلّ هذه الفصائل عن السلوك الميليشياوي غير المنضبط. وكان مسمى "الجيش الوطني" مطروحاً في فترة مبكرة من الأزمة، وأهم المراحل للإعلان عنه كان في 29/12/2017 قبيل العدوان على عفرين وشمل الفصائل المسلحة في ريف حلب الشمالي، والمرحلة الثانية في 4/10/2019 قبيل العدوان على شمال سوريا، لتضمّ الفصائل المسلحة في محافظة إدلب. أي أنّه الإعلان عنه جاء وظيفياً، لتكون حصان طروادة، وأداة لتمرير الأجندة التركية أمام الرأي العام العالمي، والادعاء بمناصرة السوريين وعدم اتهامها بالاحتلال وانتهاك السيادة الوطني لدولة مجاورة.



ولكن المسألة الأهم لا تتعلق بهيكلية هذا الكيان العسكري، بل بعقيدته، والإجابة على سؤال لماذا يقاتل أفرادهم ولماذا يحملون السلاح؟ وهل هو ملتزم فعلاً بقيادة مركزية مستقلة في قراره؟ بالمطلق فإن ذريعة حماية المتظاهرين في بداية الأزمة أستهلكت بالكامل. وقد انخرطت بصورة متكررة في الاقتتال الفصائلي في عفرين والباب وجرابلس ورأس العين وتل أبيض، والتي راح ضحيتها العديد من المدنيين، إضافة إلى تنفيذ التفجيرات بغاية انتقامية، ولا يمكن أن يمثل الاقتتال على الأسلاب والغنائم والتهريب عقيدة عسكرية تُبنى عليها آمال الناس بحياة أفضل، فالمسألة وطنية وأخلاقية بالدرجة الأولى.

وقد رصدت التقارير الإعلامية والحقوقية حجماً مروعاً من الانتهاكات في المناطق التي تحتلها تركيا تمثلت بجرائم قتل واغتيال واغتصاب وخطف وتعذيب وانتزاع للملكيات تحت تهديد السلاح وفرض الإتاوات وسرقة المواسم، وعمليات المداهمة للبيوت وأماكن العمل والحقول، وصولاً إلى ترويج المخدرات والمتاجرة بها وإنشاء معامل لإنتاجها.

على مدى سنوات تسيطر هذه الفصائل تسيطر على مناطق جغرافية واسعة، ولا وجود للقوات الحكومية فيها، وبذلك فهي المسؤولة عن ضبط الحالة الأمنية، إلا أنها تستغرق في الاقتتال الفصائلي، ولم تفشل في تحقيق معادلة الأمن وحسب، بل هي السبب المباشر في الفوضى والانفلات الأمني، وهي التي ترتكب الانتهاكات بكل أنواعها بحق الأهالي، والتي تصل وفق تقارير حقوقية ومنظمات دولية إلى توصيفها بجرائم حرب.

واعتبار "إسقاط النظام" عقيدة أساسية للفصائل المسلحة، فهو غير صحيح، لأن ذلك هدف، فيما العقيدة تمثل المرجعية الأساسية للجيش النظامية، وتفترض أساساً ألا توجه بندقيتها إلى صدر الناس وتهديد حياتهم والقيام بأعمال السلب والنهب، وهناك آلاف الأدلة على الانتهاكات قام بها "الجيش الوطني"، وهو يضم في صفوفه المئات من العناصر التي تقلبت في ولائها وانتقلت من فصيل لآخر وكانوا عناصر في تنظيمات موضوعة على لوائح الإرهاب مثل "النصرة" و"داعش"، وهؤلاء يدينون بالولاء لحالة عقائدية جهادية عابرة للحدود. ولا يمكن أن تجتمع الثورة والجهادية والارتزاق مع الوطنية.

كما هذا "الجيش" يقاتل تحت العلم التركي، ومعلوم ما تعنيه رمزية العلم الذي تقاتل تحته الجيوش، إذ يرمز للولاء، ويحضر هذا العلم في كل تفاصيل الحياة، وعلى كل المؤسسات والأبنية والمقرات والمدارس وحتى في المساجد، ليكون عنوان عملية تترك شاملة.

وفي سياق الحديث عن العقيدة العسكرية، فإن الوطنية هي الاختبار الحاسم لحملة السلاح، ولذلك يطرح حول التحاق المسلحين السوريين بجبهات القتال في ليبيا وأذربيجان، والجواب ببساطة أنه الارتزاق، وقد ارتكبت في ليبيا انتهاكات من كل الأنواع كما في سوريا تماماً.

ثمة بعد آخر، من المهم إيلاؤه الأهمية الكافية، وتتعلق بطبيعة المجتمع الذي أنشأه الاحتلال التركي، والذي يفتقر إلى أدنى مقومات الانسجام، فهو يتعدى كونه تجميعاً سكانياً اعتيادياً، فالناس الذي تم دفعهم إلى المناطق المحتلة وبخاصة عفرين، مدفوعة بعوامل الاحتقان والكيدية والمناطقية، وبذلك فإن ارتكاب الانتهاكات لا يقتصر على العناصر المسلحة بل حتى حاضنتها المجتمعية، الذين يعتدون على الأهالي مستقوين بالعناصر المسلحة، كما أنهم وهم أيضاً مختلفون فيما بينهم، وتقع من وقت لآخر اشتباكات مسلحة لأسباب مناطقية أو عشائرية.



## المخاطر الأمنية سرديّة من المخيال السياسي التركي



من المعلوم أنّ تركيا تعدّ ثاني قوةٍ عسكريّةٍ في حلفِ الناتو بعد الولاياتِ المتحدة الأمريكيّة، ما يعني أنّها تملكُ قدرًا كبيراً من رصيدِ القوةِ والترسانةِ العسكريّةِ في جميعِ صنوفِ الأسلحةِ وبخاصّةِ القوىِ الجويّةِ، ومعظمِ أسلحتها مصدرها من الدولِ الغربيّةِ وفي مقدمها الولاياتِ المتحدة الأمريكيّة وتستوردُ دبابات "ليوبارد" الألمانيّة، وعقدت اتفاقاتٍ عديدةً مع إسرائيل لتحديثِ دباباتها، وقد دخلت أنقرة سجالاً دولياً كبيراً بعد صفقة منظومة صواريخ الدفاع الجويّ إس - 400، وكانت شريكة في برنامج إنتاج المقاتلة الأمريكيّة إف - 35 وتفاخرُ بدخولها ميدانَ التصنيع العسكريّ، بصناعة الطائراتِ المسيّرة بيرقدار وأكينيّجي، والدبابات والعربات المدرّعة، وكلّ ذلك يمكّنها أن تضمّن الأمنَ على أراضيها وعلى حدودها، والردّ المباشر على مصادرِ الخطرِ في حينها، دون اللجوءِ إلى عمليّاتٍ عسكريّةٍ استباقيةٍ.

حديثُ المسؤولين الأتراك ينطوي على درجةٍ كبيرةٍ من التناقضِ والمبالغة، فمن جهةٍ يتحدثون عن قوةٍ تركيةٍ ومشاريحها عبر البحارِ والحدودِ وإقامةِ قواعدٍ عسكريّةٍ في عددٍ من الدول، ومن جهةٍ أخرى يتحدثون عن المخاوفِ الأمنيّةِ، وكأنّ تركيا دولةٌ مستضعفةٌ وصلت إلى درجةٍ خطيرةٍ من فقدانِ الأمنِ في الداخلِ وعلى الحدودِ. وخلال ثلاثِ عمليّاتٍ عسكريّةٍ نفذتها أنقرة على الأراضي السوريّة، كان الجيشُ التركيّ يعتمدُ بدرجةٍ كبيرةٍ على الغزارةِ الناريّةِ للطيرانِ والمدفعيةِ، وارتكب الطيرانُ التركيّ في عفرين عدداً من المجازر، فيما يواصل ارتكاب عمليّاتِ الاغتيالِ باستخدامِ الطيرانِ المسيّر.

وخلال العدوان التركيّ على عفرين وتل أبيض وسري كانيه / رأس العين، اكتسحت وسائلُ الإعلامِ صورُ مروّعةٌ للضحايا والأشلاءِ ودمارِ المنازلِ والمرافقِ العامّةِ والمؤسساتِ الخدميّةِ والبنى التحتيّةِ، والتي لا علاقةَ لها بالتوصيفِ العسكريّ، أو ادعاءاتِ الأمنِ القوميّ، فيما لا توجدُ صورٌ مقابلةٌ على الأراضي التركيّة، كما لم يظهر خلال العمليّاتِ العسكريّةِ أن قواتِ سوريا الديمقراطيّة تمتلك أنواعاً من السلاح يمكن أن تكون مصدرَ تهديدٍ لتركيا، لتكون الحدّ الأدنى من الدليلِ على مصداقيّةِ ادعائها.

يستوقفنا في هذا السياق تقريرٌ مهم نشره موقع BBC في 27/4/2018 للصحفيّ إريم كوكير "باسم وحدة تدقيق الوقائع"، وطرح فيه السؤالَ المباشر "كم هجوماً تعرضت له تركيا من عفرين؟

قال التقرير: ما توصلت له وحدة تدقيق الوقائع: عندما شنت أنقرة الهجومَ على عفرين قالت عنه: إنّهُ "حقّها المشروع بالدفاع عن نفسها الذي أقرّه ميثاق الأمم المتحدة". وذكر الزعمُ بوقوع 700 هجومٍ على لسان مسؤولين أتراك رفيعي المستوى مبرراً لهذا الهجوم.

وأورد إبراهيم كالين المتحدثُ الرئاسيّ هذا الزعم في مقالٍ كتبه لموقع CNN في شباط 2018. وتمت الإشارةُ إلى المقال في الحسابِ الرسميّ للرئاسة على موقع تويتر. وبعد بدء العملية بيومٍ أشار نائب رئيس الوزراء في مؤتمر صحفيّ إلى رقم 700 هجومٍ خلال عام 2017.



وحدة تدقيق الوقائع أجرت بحثاً موسعاً حول تقارير بشأن وقوع هجمات على تركيا بنفس الفترة بالرجوع إلى مصادر مختلفة، وتوصلت إلى تقارير بشأن وقوع 26 هجوم فقط من سوريا بالفترة من 1/1/2017 إلى 20/1/2018 وكان 15 فقط من هذه الهجمات مصدره عفرين. وقد أصدر الجيش التركي بيانات مفصلة بشأن هذه الحوادث التي تراوحت بين مقتل جندي إلى حوادث أقل خطورة كثيراً مثل سقوط خمس طلقات مدفع رشاش في حقل فارغ.

كما قارنت وحدة تدقيق الوقائع بين بيانات الجيش ومصادر أخرى عديدة منها وكالة الأناضول الرسمية ووكالة دوغان الخاصة وموقع liveuamap.com الذي يجمع كل ما يُنشر على وسائل التواصل الاجتماعي من مواقع النزاع.

وقال مصدر عسكري تركي لـ BBC إنَّ عليها الرجوع لوزارة الخارجية التركية للحصول على تقارير كاملة عن 700 هجوم، مشيراً إلى أنه لم يُعلن عن "كل الهجمات بل أغلبها". ولكن لم تُصدر وزارة الخارجية أية تقارير بهذا الشأن.

لدى اتصال BBC مجدداً قالت وزارة الخارجية التركية: إنَّ 700 حادث "تحرش بإطلاق النار" قد وقع. وعُرفت هذه العبارة بأنها "أي شيء لا يستهدف تركيا مباشرة ولكن قد يكون عرضاً جانبياً للاشتباكات في سوريا". وقالت أيضاً إنَّ بعض هذه الهجمات استهدف مواقع عسكرية تركية في شمال سوريا من بينها إدلب ومناطق أخرى يسيطر عليها الجيش السوري الحر المدعوم من تركيا، الأمر الذي يتعارض مع البيانات الرسمية التي تحدثت عن هجمات "ضد المدن التركية".

قالت الخارجية التركية إنها تعرّف "الهجمات" كحوادث "استهدفت تركيا مباشرة"، وإنَّها رصدت 90 "هجوماً" بنفس المنطقة ونفس الفترة. ولدى سؤال وزارة الخارجية التركية عن التعارض أجابت قائلة إنها تتفهم لماذا يوجد ارتباك ولم تُدل بالمزيد من التفاصيل. (89)

وبالمجمل فإن السردية العددية التي تروج لها أنقرة هي مجرد ادعاءات لا تستند إلى حقائق ميدانية، فيما لا تتوفر قرائن قطعية يمكن الركون إليها بالنسبة للعدد المتدني لبعض الحوادث المحدودة، وتأكيد الجهة التي تقف خلفها، وبخاصة مع تداول مع المعلومات حول محاولة الاستخبارات التركية افتعال بعض الحوادث الأمنية على الحدود لتبرير تدخلها العسكري في سوريا.

وتعرضت عفرين لعشرات حالات القصف ومحاولات الاقتحام من قبل مسلحي المعارضة المواليين لأنقرة، وأختطف العشرات من أبنائها على الحواجز خلال سفرهم، ولم تشكل عفرين خطراً أمنياً على تركيا، ولكن جرت المبالغة والتهويل لغاية تبرير الحرب، و15 حالة إطلاق نار عرضي عبر الحدود من بلد يشهد حرباً أهلية على بلد بحجم تركيا لا يؤخذ به. أما الاحتلال وتبعاته فيرتقي لمستوى الإبادة الجماعية والعرقية والتهديد الوجودي ووثقت آلاف الانتهاكات من أنواع مختلفة، ويتم تزوير الحقائق وتبريرها بأخطاء فردية.

المواجهات العسكرية في سياق العدوان التركي على عفرين ومن بعدها رأس العين / سري كانيه وتل أبيض لم تسفر عن ظهور أسلحة نوعية متطورة في عهدة قوات سوريا الديمقراطية من شأنها أن تشكل مصدر تهديد للأمن القومي التركي، والصحيح أن أنقرة تعادي الإدارة الذاتية، وتخشى انعكاس تداعياته السياسية على تركيا، رغم أن المشروع بطبيعته يستند إلى أسس مجتمعية ويتعلق بالإدارة بالدرجة الأولى ولا يتطلع إلى إيجاد كيان سياسي جديد، وكل شعاراتها ومكوناتها تثبت الحرص على وحدة الأراضي السورية. وبالنسبة للقوى العسكرية فهي تنطلق من مبدأ الدفاع الذاتي، وليس على الأساس المتعارف للجيش. وبكل الأحوال فإن صيغة المشروع ليست نهائية، وتسعى الإدارة الذاتية إلى طرح رؤيتها في سياق الحوار الوطني.



## مطالبة المجتمع الدولي بحظر جوي



السبب الذي اضطرت معه أنقرة لتأجيل العملية العسكرية على مدى أكثر من شهرين، لا يتعلق بمواقف الرفض الدولية. فقد خطت أن تكون العملية سريعة وخاطفة ولا مشكلة بحجم ونطاق العملية، وقد تراجعت عن أهدافها الأولى في استهداف مناطق (تل رفعت ومنبج وكوباني وعين عيسى وتل تمر)، للتركيز أكثر على تل رفعت ومنبج، والمهم بالنسبة لها أن تبدأ، فالمسألة مصيرية، ولا يمكن للمسؤولين الأتراك أن يبتلعوا كل تهديداتهم ويتراجعوا، بل على العكس، كلما زاد الرفض الدولي زاد إصرار أردوغان، لأن ذلك يظهره بطلاً قومياً استثنائياً يمكنه اجتياز الاستحقاق الانتخابي في حزيران 2023. وبما يخدم خطة إعادة اللاجئين السوريين.

ولكن سرّ التأجيل، يكمن بعدم حصول أنقرة على رخصة كاملة باستخدام سلاح الطيران في العملية المزمعة، لتحسم نتيجة العملية لصالحها سلفاً، ولا يمكنها أن تراهن على عملية بريّة فقط، خشية ارتفاع التكلفة.

صحيح أن أنقرة تستخدم من وقت لآخر الطائرات المسيّرة، ولكن هذا الاستخدام محدود لغرض تنفيذ الاغتيالات، وأما استخدام الطيران غطاءً جويّاً لعملية عسكرية فالمسألة مختلفة جداً، إذ ينطوي الأمر على توسيع رقعة السيطرة، ومعلوم أن هناك توافقاً أمريكياً - روسياً ينظم الطيران ويكفل منع التصادم، وعندما ينفذ التحالف الدولي عملية استهداف قيادي من "داعش" فمن الضروري التنسيق مع الجانب الروسي.

إقدام أنقرة على عمل عسكري بدون غطاء جوي سيكوّن انتحاراً، ليس بالمستوى العسكري، بل السياسي، لأن ذلك يحتمل ارتفاع تكلفة العملية بصورة مروّعة لا يتحملها الحزب الحاكم، الذي يروج لعملية عسكرية خاطفة وسريعة وشبه مجانية، يتولى الإعلام التركي تسويقها نصراً كبيراً، والتوقيت الاقتصادي والانتخابي لا يحتمل ذلك أبداً.

لعلّ عملية عسكرية مرتفعة الكلفة تسعد موسكو جداً، بل ستكون الحالة الأكثر مثالية لتحقيق خطتها في سوريا، باستنزاف إمكانات كل الفصائل المسلحة، ومعلوم أن موسكو هي التي حشرت كل الفصائل في الشمال اعتباراً من إخراجها من مدينة حلب نهاية 2016، فكان ذلك أساس الاتفاق التركي - الروسي والذي أدى في مرحلة لاحقة لإخراج كل المسلحين من ريف دمشق والغوطة وحمص في نيسان 2018، وحتى من عرسال اللبنانية!

تمتلك المنظومة الدولية الآلية القانونية المناسبة لفرض الحظر الجوي واستخدامها وفقاً لغايتها الأساسية لمنع الهجمات الجوية، ويتم ذلك عسكرياً أو باستخدام نظام مراقبة أو تنفيذ ضربات استباقية ضد الأنظمة الدفاعية في المنطقة، كما يمكن إسقاط الطائرات التي تدخل إلى المنطقة المحظورة أيضاً. وقد طالبت الأحزاب السياسية في شمال وشرق سوريا في 3/7/2022، عبر بيان رسمي مشترك الأمم المتحدة باتخاذ موقف رادع للتهديدات التركية يتضمن فرض حظر للطيران في أجواء شمال وشرق سوريا لحماية المدنيين الآمنين من الغارات التركية المتواصلة إضافة لمحاسبة تركيا على انتهاكاتها المستمرة بحق الأهالي. (90)



ووفق ميثاق الأمم المتحدة، فإن الفصل السابع والمؤلف من 13 مادة (من المادة -39 وحتى المادة 51 ضمناً) تتضمن فيما يتخذ من الأعمال في حالات تهديد السلم والإخلال به ووقوع العدوان، وتنص على أنه يجوز لمجلس الأمن أن يتخذ عن طريق القوات الجوية والبحرية والبرية من الأعمال ما يلزم لحفظ السلم والأمن الدولي أو لإعادته إلى نصابه. ويجوز أن تتناول هذه الأعمال المظاهرات والحصر والعمليات الأخرى بطريق القوات الجوية أو البحرية أو البرية التابعة لأعضاء "الأمم المتحدة". (91)

وقد دعت العديد من المؤسسات المجتمعية عبر بيانات رسميات المنظومة الأممية والقوى الدولية الكبرى إلى فرض حظر جوي لحماية الأهالي من خطر العدوان، منها بيان مجلس مقاطعة الشهباء في 16/7/2022، وبيان هيئة الدفاع في الإدارة الذاتية، الثلاثاء 26/7/2022.

ويُعرف الحظر الجوي، أو حظر الطيران على أنه: شكل من أشكال العقوبات التي يفرضها مجلس الأمن الدولي على الدول المعنية، من خلال تصويت معظم أعضائه على القرار في حال عدم استخدام أحد الأعضاء الدائمين حق النقض (الفيتو) للاعتراض على القرار، ومنطقة الحظر الجوي، أو حظر الطيران هي: موقع جغرافي لا يمكن للطائرات المرور عبره، أو الطيران فيه، ولا يقتصر الأمر على نوع واحد من الطائرات؛ إذ إنه يشتمل على الطائرات المأهولة، وأنظمة الطيران التي تعمل دون وجود طيار

تم استخدام مناطق حظر الطيران ثلاث مرات فقط في التاريخ - في شمال العراق، بعد حرب الخليج عام 1991؛ في البوسنة عام 1992؛ وليبيا عام 2011.

## مخاطر تعميق الأزمة الاقتصادية



الحروب أياً كان حجمها فهي أشبه بالزلازل، وإذا كان ميدان الصراع المسلح بؤرة الزلزال، إلا أن مناطق بعيدة تتأثر بالهزات الارتدادية، وكلما زادت شدة الصراع وحيوية المنطقة، اتسع طيف التأثير بها اقتصادياً.

ينذر العدوان بموجة عنف تتجاوز أبعاد الميدان مباشرة، إلى البيئة المجتمعية، يجب ألا ننكر أن نسبة كبيرة من مسلحي الفصائل المسلحة تنحدر من مناطق شرق سوريا، وقد تأخذ المسألة أبعاداً إضافية بسبب الانتماء العشائري، لا بل إن العشائر الكبيرة تتعدّد فيها الاصطفافات، ما قد يسبب موجة عنف بين أبناء العشائر أنفسهم، أو بين مكونات المنطقة، وفي حيّز ضيق أعلنت عشائر أنها ستعتزل القتال، خشية قتال أبنائها. ومنذ بداية الأزمة السورية عانت كل المناطق السورية من الانقسام وفقاً لتوجهاتها وتموضعها، وأي اختلاف في القوة العسكرية المسيطرة على أي منطقة يوازيه متغير مجتمعي لحاضنته إما سيطرة أو ترحيلاً خشية ردود فعل انتقامية.



يعاني الواقع السوري بعد أكثر من عقدٍ من الأزمة والصراع الدموي والأزمة الاقتصادية الخانقة، وارتفاع معدل التضخم إلى مستوياتٍ غير مسبوقة، وذوبان الطبقة الوسطى، وفقدان المواد الأساسية والغلاء المعيشي والتراجع الجاد في مستوى الخدمات الأساسية (الكهرباء والاء والخبز والمواد التموينية) ورفع الدعم الاجتماعي، وانهيار البنى المجتمعية لا يحتمل أي عملية عسكرية جديدة، تقذف بالأهالي مجدداً إلى عراء النزوح.

على جبهة أخرى، شنت أنقرة حرباً كبيرة في أعلى درجات الخطورة، عبر خفض الوارد المائي لنهر الفرات ما تسبب بأزمة المياه وجفافٍ وخروج مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية من الخطة، ويهدد سلامة البيئة وتراجع في توليد الطاقة الكهربائية في سدي الفرات وتشيرين.

تسببت الحرب في أوكرانيا بصدمة في أسواق السلع الأساسية، ما أدى لارتفاع أسعار الغذاء والوقود في سوريا أكثر وأكثر. ولكون سوريا مستورداً صافياً للغذاء والوقود، فقد أثر ارتفاع الأسعار سلباً على موازين التجارة الخارجية لسوريا والتضخم والاحتياطات الدولية. وأثر التضخم المرتفع في سوريا على الفقراء والضعفاء بشكل غير متناسب. ارتفع معدل تضخم أسعار الغذاء وفقاً لمؤشر الحد الأدنى لسلة الغذاء التابع لبرنامج الغذاء العالمي بنسبة 97% خلال عام 2021، بالإضافة إلى زيادة بنسبة 236% عام 2020. نتيجة للزيادة الملحوظة في أسعار السلع الأساسية، ارتفع الدعم الحكومي للسلع الغذائية الأساسية والوقود بشكل كبير خلال السنوات الماضية، ويمثل هذا الدعم أكثر من نصف إجمالي بند النفقات في موازنة عامي 2021 و2022.

من المتوقع استمرار تدهور الظروف الاقتصادية في سوريا، المتضررة بالصراع طويل الأمد، والاضطرابات في لبنان وتركيا، وجائحة كورونا، والحرب في أوكرانيا. في ظل حالة عدم اليقين المرتفعة بشكل استثنائي، ويُتوقع انكماش الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي لسوريا بنسبة 2.6% في عام 2022 إلى (15.5 مليار دولار بالأسعار الثابتة لعام 2015) وذلك بعد انخفاضه بنسبة 2.1% في عام 2021. وستظل معدلات الاستهلاك الخاص ضعيفة مع استمرار تآكل القوة الشرائية في ظل ارتفاع الأسعار وانخفاض قيمة العملة. يُتوقع أن يظل الاستثمار الخاص ضعيفاً أيضاً مع افتراض استمرار تقلب الوضع الأمني وتواصل حالة عدم اليقين الاقتصادي والسياسي. سيظل الإنفاق الحكومي، وخاصة النفقات الرأسمالية، مقيّداً بانخفاض الإيرادات ونقص الوصول إلى التمويل. وسيظل الحساب الجاري لسوريا بحالة عجزٍ ثابتٍ نتيجة العجز التجاري المرتفع للغاية ولن يُعوّض عدا جزئياً من خلال تدفقات التحويلات الجارية. وسيؤدي العجز المزدوج المستمر إلى زيادة استنزاف احتياطات النقد الأجنبي، ما سيزيد من الضغط على العملة المحلية. ومن المتوقع أن يظل معدل التضخم مرتفعاً في المدى المنظور وذلك بسبب الآثار العابرة لانخفاض قيمة العملة، واستمرار نقص الغذاء والوقود، وتقنين الغذاء والوقود، ما سيضغط على الفقراء الذين يعانون في الأساس. أما من الناحية الإيجابية فيمكن أن يؤدي تحسّن العلاقات التجارية السورية مع جيرانها العرب إلى تقليل عزلتها الاقتصادية. في الآونة الأخيرة، تم تخفيف قيود الاستثمار الأجنبي في شمال وشرق وشمال غرب سوريا، وسُمح للمنظمات غير الحكومية بممارسة المزيد من الأعمال التجارية في سوريا، وبالتالي قد تسهل هذه الإجراءات من التجارة والاستثمار والعمليات الإنسانية. (92)

صحيح أن تركيا تعيش أزمة اقتصادية كبيرة، إلا أن الطبقة السياسية الحاكمة يتطلعون إلى عملية عسكرية جديدة تكون طوق نجاة لأزمته. إلا أن المعطيات الاقتصادية لا يحتمل وضع شمال سوريا وفي سوريا إجمالاً تداعيات عدوانٍ جديدٍ يزيد من تعقيد الأزمة في البعدين الاقتصادي والاجتماعي ويزيد معدلات البطالة.



## لجان تحقيق وقوات مراقبة دولية للحدود



أنقرة ليست صادقة في ادعاء الخطر على أمنها القومي، وخلال أولى أيام العدوان على عفرين استهدفت المؤسسات الخدمية والمرافق العامة والآثار والأوابد التاريخية في موقع عين دارة، وبعد الاحتلال تعرضت المدينة لأكبر حملة سلب وسرقات، وللسنة الخامسة تتواصل الانتهاكات بحق البشر والشجر والحجر والأثر، ما علاقة أشجار عفرين والغابات الحراجية وآثار عفرين بالأمن القومي التركي؟!

الهدف الذي أعلنته أنقرة ذريعة للعدوان على عفرين، تحقق يوم سيطرت قواتها على مدينة عفرين، بخروج كل المظاهر المسلحة وانسحاب الوحدات العسكرية من المنطقة، ولكنها حتى اليوم تواصل الاعتقال بالحجة ذاتها، ولا يبدو أنها ستكتفي.

اليوم تحتل القوات التركية مناطق في سوريا، ترتفع أصوات المسؤولين الأتراك، يتحدثون عن تعرض جنودهم لعمليات عسكرية، ويتخذون من تلك الحوادث ذريعة لمزيد من العدوان والاحتلال، ولكن الجنود الأتراك يقتلون خارج أراضيهم، وهم قوات احتلال، وتاريخ شعوب العالم زاخر بالأمثلة على مقاومة قوى الاحتلال، وأنقرة تجاوزت حدود أمنها القومي، لتجعله داخل الأراضي السورية، والتي حضرت فيها دون مرجعية دولية أو قرار أممي.

اتبعت أنقرة سياسة الحدود المفتوحة في بداية الأزمة السورية، إلا أنها أغلقت كامل الحدود ببناء جدار من الخرسانة على طول الحدود التي يبلغ طولها 911 كم، وأنشأت نقاط مراقبة مزودة بوسائل بكاميرات ووسائل مراقبة حديثة، وأصدرت التعليمات لحرس الحدود التركي (الجندرية) لإطلاق النار على كل من يحاول اجتياز الحدود أو يقترب منها، وذكر مركز توثيق الانتهاكات شمال سوريا أن عدد اللاجئين السوريين الذين قُتلوا برصاص الجنود الأتراك أو التعذيب على الحدود بلغ 533 شخصاً، بينهم (102 طفلاً دون سن 18 عاماً، و67 امرأة)، حتى 5 آب 2022 وبلغ عدد الجرحى والمصابين بطلق نارٍ أو اعتداء جسدي 1928 شخص ممن حاولوا اجتياز الحدود أو من سكان القرى والبلدات السورية الحدودية أو المزارعين، وأصحاب الأراضي المتاخمة للحدود، الذين يستهدفهم الجندرية بالرصاص الحي. (93)

الأولوية أمام المجتمع الدولي هي سلامة وأمن الناس والحياة، ولا يجوز تعريض حياة الأهالي لمخاطر التهجير القسري والقتل، استناداً لمزاعم افتراضية لم يقم عليها أدنى دليل. أو بسبب أجندة سياسية لصرف عوائد العدوان في صناديق الاقتراع لصالح بقاء حزب على رأس السلطة.

إن قيام أنقرة بعدوان جديد يؤكد مجدداً ضعف آلية عمل المنظومة الدولية بكل مؤسساتها الأممية، وعجزها عن تطبيق القوانين التي توافقت عليها دول العالم لحفظ السلام في العالم، وليس في شرعة الأمم ما يبرر العدوان على السيادة الوطنية لدولة مجاورة واحتلال مناطق فيها وربطها إدارياً واقتصادياً بالدولة المحتلة وفرض عملتها ولغتها وثقافتها وتغيير مناهج التعليم وسرقة آثارها ونقل مواطنين منها للمثول أمام محاكم الدولة المحتلة.



من غير المقبول استمرار حالة العجز في المنظمة الدوليّة والاحتكام للسلّاح وشنّ الحروب بسبب ذرائع لم يقدّم عليها دليل، وسقوط مزيد من الضحايا واستمرار عمليات التهجير وإطالة أمد الأزمة السوريّة، ولذلك فإنّ أدنى ما يجب على المجتمع الدوليّ القيام به، هو اضطلاع بدوره المناط به في حفظ السلام والمبادرة إلى تشكيل قوات حفظ سلام دوليّة بإشراف الأمم المتحدة، لمراقبة الحدود وضمان سلامة الانتقال من خلال معابر نظاميّة والوقوف على حقيقة الأوضاع على الحدود، وتشكيل لجنة تحقيق دوليّة لتحديد المسؤولية القانونيّة، والتحقق من صحّة الادعاءات التركيّة.

كلّ ذلك مقدمة لخلق البيئة الملائمة لمسار الحلّ السياسيّ للأزمة السوريّة، وإنهاء كلّ أشكال الاحتلال وعودة كلّ السوريين إلى قراهم بلداتهم الأصليّة التي هجّروا منها في ظروف مختلفة من الأزمة، ومعلوم أنّ مسار الحلّ قد تعطلّ بسبب سياسات المحاصصة والتنافس بين الأطراف المنخرطة في الأزمة السوريّة والتي اعتمدت أسلوب حرب الوكلاء على حساب مصلحة السوريين من كلّ المكونات والأطياف والتوجّهات.



## المصادر

- (1) <https://www.swissinfo.ch/ara/> أنقرة وحسابات واشنطن - المأزق - التركي في سوريا/33140454
- (2) <https://www.reuters.com/article/oegwd-plane-crash-syria-turk-ea4-idARAKBN0TD0J620151124>
- (3) <https://www.france24.com/ar/20160627-> روسيا تركيا - أردوغان يوثق طائرة - اعتذار
- (4) <https://www.bbc.com/arabic/middleeast-38411009>
- (5) <https://www.bahethcenter.net/essaydetails.php?eid=37797&cid=61>
- (6) <http://www.soutalomma.com/Article/845197/> «الميثاق - الملى» مؤامرة تركيا - لاحتلال - العراق - سوريا - اليونان
- (7) <https://www.annahar.com/arabic/article/496378-> أردوغان - حدودنا - العاطفية - من - القرم - إلى - الموصل - حلب
- (8) <https://www.alkhaleej.ae/> مقالات - العقل - التركي - الميثاق - الملى
- (9) <https://midline-news.net/> وزير داخلية - أردوغان - دمشق - حلب - كانتا - لنا/
- (10) <https://www.turkpress.co/node/73145>
- (11) The town nicknamed 'Little London' at the heart of Islamic State's war - <https://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/islamic-state/12091228/The-town-nicknamed-Little-London-at-the-heart-of-Islamic-States-war.html>
- (12) - الكولونيل كريس غارفر: منبج "منطقة استقبال رئيسية للمقاتلين الأجانب عند وصولهم إلى سوريا: <https://www.skynewsarabia.com/middle-east/861173->
- (13) <https://aawsat.com/home/article/713156/> - منبج - محررة - داعش - يفر باتجاه - جرابلس
- (14) Niqabs cast off as Isis is driven out - <https://www.thetimes.co.uk/article/burqas-cast-off-as-isis-is-driven-out-6qnt2kljz>
- (15) Isis loses key route to Europe as border town is recaptured - <https://www.thetimes.co.uk/article/isis-loses-key-route-to-europe-as-border-town-is-recaptured-f0t39mhsh>
- (16) - بيان انسحاب وحدات الحماية من منبج في 2016/11/16: <https://www.reuters.com/article/kurds-raqqas5-idARAKBN13B0PM>
- (17) <https://www.alarabiya.net/arab-and-world/syria/2018/06/05/> - الحماية - الكردية - تنسحب - من - منبج - السورية
- (18) - فرانس برس انسحاب وحدات الحماية من منبج <https://www.france24.com/ar/20180606->
- (19) - حامى أقصوي انسحاب وحدات الحماية مبالغ فيها. <https://arabic.sputniknews.com/20180716/> تركيا - منبج - وحدات - حماية - الشعب - الكردية - 1033828454.html
- (20) <https://www.reuters.com/article/turkey-kurds-us-ah7-idARAKCN1M80LF?edition-redirect=ca>
- (21) <https://strategy-watch.com/wp-content/uploads/190124-Syrian-Strategic-Report-64.pdf>
- (22) <https://www.defenseone.com/ideas/2018/12/kurds-betrayed-again-washington/153809/>
- (23) <https://arabic.sputniknews.com/20181229/> - الكرملين - الجيش - السوري - منبج - 1037875405.html
- (24) <https://www.syriahr.com/> - داعش - يتبنى - الهجوم - في - منبج/315963
- (25) - الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يشيد بالاتفاق الأمريكي - التركي: <https://www.reuters.com/article/syria-security-turkey-usa-ea6-idARAKBN1WW16J>
- الاتفاق الأمريكي - التركي 2019/10/17 <https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2019/10/17/cease-fire-deal-north-syria-turkey-operation>
- (26) - تعليق وزير الخارجية التركي على الاتفاق الأمريكي - التركي: <https://www.aa.com.tr/ar/> تركيا/تشاوش - أوغلو - سنعلق - نبع - السلام - 120 ساعة - هذا - ليس - قفا - لإطلاق - النار/1617598
- (27) - اتفاق سوتشي 2019/10/23: <https://www.bbc.com/arabic/middleeast-50159128>



- (28) - <https://www.tasnimnews.com/ar/news/2016/02/09/996031/> - أنباء - عن دخول الجيش السوري - تل رفعت - على طريق - اعزاز - دون قتال
- (29) - - دخول 500 مقاتل عبر معبر السلامة في اعزاز 2016/2/17
- <https://www.france24.com/ar/20160218-%D8%A3%D9%83%D8%B1%D8%A7%D8%AF-%D8%A3%D8%B9%D8%B2%D8%A7%D8%B2-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7-%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A7-%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%AA%D9%84%D9%88%D9%86-%D8%B9%D8%A8%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D9%82>
- (30) - <https://www.aljazeera.net/news/arabic/2017/3/20/> - روسيا تتفق مع - أكراد سوريا - لإقامة قاعدة
- (31) - [https://arabic.rt.com/middle\\_east/896183-](https://arabic.rt.com/middle_east/896183-) - وصول قوات روسية - إلى تل رفعت - جريف - حلب - الشمالي /
- (32) - <https://al-ain.com/article/russian-army-announced-syria> - إنشاء منطقة فض - اشتباك في تل رفعت:
- (33) - - إنشاء منطقة فض - اشتباك بين - الحرى الأكراد في - <https://www.alarabiya.net/arab-and-world/syria/2017/09/06/> - تل رفعت
- (34) - <https://www.dailysabah.com/arabic/politics/2018/02/04/> - إبراهيم خال - ليس - تركيا - أطماع في سوريا
- (35) - <https://www.raiayoum.com/> - الجيش السوري - يتسلم مدينة تل رفعت من قو /
- (36) - <https://www.dailysabah.com/arabic/politics/2018/03/24/> - أردوغان رسائل - إخوانافي تل رفعت -
- (37) - <https://www.dailysabah.com/arabic/politics/2018/03/25/> - أردوغان يعلن - أن قوات - غصن - الزيتون - ستسيطر - على تل رفعت قريباً
- (38) - <https://www.syriahr.com/> - على الرغم من وجود - عشرات - الآلاف من - مهجر /259500/
- (39) - <https://www.syria.tv/> - ما - الذي يجري في تل رفعت؟
- (40) - <https://www.syriahr.com/> - لا صحة - لدخول - القوات - التركية - قوات - المع /259542/
- (41) - <https://arabic.sputniknews.com/20180331/> - الجيش السوري - ينتشر - تل رفعت - html.1031217644
- (42) - <https://www.syriahr.com/> - استئناف - المباحثات - حول تل رفعت - بعد - تحتر /269534/
- (43) - <https://www.syriahr.com/> - خلافات - روسية - إيرانية - حول تسليم تل رفعت /267026/
- (44) - <https://www.aljazeera.net/news/politics/2019/2/14/> - قمة - سوتشي - بوتين - أردوغان - روحاني - سوريا
- (45) - <https://www.trtarabi.com/now/> - قوات تركية - روسية - تسير - أول - حورية - مشتركة - في - منطقة تل رفعت - السورية - 3434519
- (46) - <https://www.reuters.com/article/us-syria-security-turkey/four-turkish-soldiers-killed-by-cross-border-kurdish-militant-attacks-ministry-idUSKCN1SA0BS> -
- (47) - <https://www.yenisafak.com/dunya/tel-rifat-operasyonu-basladi-3-koy-pkkdan-kurtarildi-3469528> -
- (48) - - أنقرة - تفايض - موسكو - تل رفعت - ومنبج - مقابل - إدلب:
- <https://alarab.co.uk/> - أنقرة - تفايض - موسكو - تل رفعت - ومنبج - مقابل - إدلب
- (49) - <https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2019/12/03/north-syria-turkey-sdf-tal-rifaat-kurds-uncif> -
- (50) - [https://arabic.rt.com/middle\\_east/1065541-](https://arabic.rt.com/middle_east/1065541-) - مركز - المصالحة - الروسي - المسلحون - قتلوا - 10 - مدنيين بينهم - 8 - أطفال في تل رفعت /
- (51) - <https://www.alarabiya.net/arab-and-world/syria/2017/09/06/> - إنشاء منطقة فض - اشتباك بين - الحر - والأكراد في تل رفعت
- (52) - <https://arabic.sputniknews.com/20200917/%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7-%D8%AA%D8%B1%D9%81%D8%B6-%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AD%D8%A7-%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A7-%D8%A8%D8%B4%D8%A3%D9%86-%D8%A5%D8%AF%D9%84%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A9-1046575014.html> -
- (53) - <https://www.aa.com.tr/ar/> - الدول - العربية / البرلمان - التركي - يقر - تمديد - تفويض - لإرسال - قوات - إلى سوريا - العراق - 2403780/
- (54) - <https://www.alhurra.com/turkey/2021/10/27/> - - إردوغان في سوريا - العراق - لا - غير - مسبقة - تجهز - المشهد - التركي



- (55) - <https://www.almodon.com/arabworld/2021/11/4/> - صفقة تركية لروسيا لحل مشكلة الشمال - السوري <https://www.aksalser.com/news/2022/05/24/> - صحيفة تركية - روسيا - انسحبت من - 8 مناطق بسو /
- (56) - <https://arabic.rt.com/world/1281038-> - بايدين - حيدر - عقوبات - ضد - تركيا - بشأن - عملياتها في سوريا /
- (57) - <https://ronahi.net/?p=116909> -
- (58) - <https://www.alarabiya.net/arab-and-world/syria/2021/09/30/> - ادلب - جلا - ارهابيين في قمة سوتشي بوتين -
- (59) - [https://arabic.rt.com/middle\\_east/1289512-](https://arabic.rt.com/middle_east/1289512-) - اردوغان - عملية جديدة سوريا /
- (60) - <https://www.dw.com/ar/> - اردوغان - سيقوم بعمليات عسكرية جديدة - عند حدودنا الجنوبية /a-61909084
- (61) - <https://www.bbc.com/arabic/middleeast-61571946> -
- (62) - <https://www.aa.com.tr/ar/> - تركيا / أنقرة - العمليات - العسكرية في - الجنوب - ضرورة - الأمن - القومي - /2598624
- (63) - <https://www.bbc.com/arabic/middleeast-61663289> -
- (64) - [https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwjU096e45D5AhXB4YUKHT1AD08QFnoECAMQAQ&url=https%3A%2F%2Fwww.bbc.com%2Farabic%2Fmiddleeast-61663289&usq=AOvVaw2B\\_ihHzpV9nhfx1rJ\\_uDqO&cshid=1658640058259535](https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwjU096e45D5AhXB4YUKHT1AD08QFnoECAMQAQ&url=https%3A%2F%2Fwww.bbc.com%2Farabic%2Fmiddleeast-61663289&usq=AOvVaw2B_ihHzpV9nhfx1rJ_uDqO&cshid=1658640058259535) -
- (65) - <https://www.aljazeera.com/news/2022/6/1/turkey-expands-military-operation-in-northern-syria> -
- (66) - <https://www.al-monitor.com/originals/2022/06/turkish-backed-factions-form-military-councils-north-syria-ahead-possible-turkish> -
- (67) - <https://www.trtarabi.com/now/> - اردوغان - العملية - العسكرية في سوريا - استبدأ - حال - انتهاء - التحضيرات - 9382890
- (68) - <https://arabic.rt.com/world/1367712-> - اردوغان - يعلن - موعد بدء - العملية - العسكرية - الجديدة في سوريا /
- (69) - <https://arabic.rt.com/world/1368858-> - اردوغان - لا يستبعد - البدء - المفاجئ - للعمليات - العسكرية في سوريا /
- (70) - <https://npasyria.com/114513/> -
- (71) - <https://arabic.sputniknews.com/20220719/> - البيان - الختامي - لقمة طهران - روسيا - إيران - تركيا - دانت - الهجمات -
- (72) - <https://arabic.euronews.com/2022/07/19/khamenei-informs-erdogan-that-a-turkish-operation-in-syria-will-harm-the-region> -
- (73) - <https://www.bbc.com/arabic/world-62241368> -
- (74) - <https://www.dailysabah.com/arabic/politics/2022/07/27/> - تشاوش - أوغلو - الولايات - المتحدة - روسيا - لم - تفيا -
- (75) - <https://arabic.cnn.com/middle-east/article/2022/08/06/erdogan-putin-syria> -
- (76) - <https://alyaumtv.net/> - ظهور - علني - لتنظيم - داعش - الإرهابي - بمدينة /
- (77) - <https://www.syriahr.com/> - منذ - مقتل - البغدادي - نحو - 50 - جهادياً - بينهم - خ /493845
- (78) - <https://www.state.gov/translations/arabic/> - الخزانة - الأمريكية - ترفض - عقوبات - على - سجو /
- (79) - <https://afrinpost.net/ar/archives/19847> -
- (80) - <https://www.aa.com.tr/ar/> - الدول - العربية / الرئاسة - التركية - العملية - المرتقبة في سوريا - تجري - بأي - وقت /2646947
- (81) - <https://www.aa.com.tr/ar/> - تركيا / تشاوش - أوغلو - الولايات - المتحدة - غير - صادقة في - محاربة - الإرهاب /2646935
- (82) - <https://www.aljazeera.net/news/politics/2019/9/16/> - العراق - البغدادي - تنظيم - الدولة - السجون
- (83) - <https://news.un.org/ar/story/2021/09/1084212> -
- (84) - <https://www.alarabiya.net/arab-and-world/syria/2019/10/13/> - مخيم - عين - عيسى - جلا - حراسة - فرار - 785 -
- (85) - <https://www.france24.com/ar/20191013-> - سوريا - تركيا - أكراد - تنظيم - الدولة - الإسلامية - مخيم - عين - عيسى - فرار - عائلات -
- (86) - <https://mubasher.aljazeera.net/news/reports/2019/10/16/> - ما - خرفه - عن - محقق - تنظيم - الدولة - لدى
- (87) - <https://npasyria.com/114760/> -
- (88) - <https://ronahi.net/?p=143943> -
- (89) - <https://www.youtube.com/watch?v=nGizLNaNOBw> -
- (90) - <https://www.syria.tv/> - خلال - أسبوع - تنظيم - الدولة - يتبنى - تنفيذ - 36 - عملية - حول - العالم
- (91) - [https://www.foxnews.com/opinion/isis-rising-syria-threat-american-way-life?\\_x\\_tr\\_sl=en&\\_x\\_tr\\_tl=ar&\\_x\\_tr\\_hl=ar&\\_x\\_tr\\_pto=sc](https://www.foxnews.com/opinion/isis-rising-syria-threat-american-way-life?_x_tr_sl=en&_x_tr_tl=ar&_x_tr_hl=ar&_x_tr_pto=sc) -
- (92) - [https://www.youtube.com/watch?v=DitlNri\\_s5w](https://www.youtube.com/watch?v=DitlNri_s5w) -
- (93) - <https://www.bbc.com/arabic/middleeast-43923130> -
- (94) - <https://pydrojava.org/> - طالبات - الاحزاب - السياسية - في - شمال - شرق - سو /
- (95) - <https://www.un.org/ar/about-us/un-charter/chapter-7> -
- (96) - <https://www.albankaldawli.org/ar/country/syria/publication/syria-economic-monitor-spring-2022-lost-generation-of-syrians> -
- (97) - <https://vdc-nsy.com/archives/58185> -





# منصة تارجيت الإعلامية

## عن المنصة:

مؤسسة إعلامية غير ربحية متخصصة في تغطية الأوضاع في الشرق الأوسط وتتناول على وجه الخصوص التطورات التي تشهدها الساحة السورية ودور الفاعلين في هذا الملف على الصعيدين الإقليمي والدولي. تتخذ منصة تارجيت الإعلامية من مدينة إيسن الألمانية في ولاية شمال الراين ويستفاليا مقراً لها، وتغطي التطورات في المنطقة على كافة الأصعدة بأربع لغات وهي الإنكليزية، الألمانية، العربية والكردية. تعمل المنصة مع مجموعة من الباحثين والصحفيين المختصين في كافة أنحاء العالم وتسعى لبناء وعي سياسي وفكري جديدين في المنطقة يقوم على ضرورة تغطية الأحداث بشكل مهني وتهدف إلى جسر الهوة بين كافة السوريين من خلال زيادة التواصل بينهم، كما تعمل المنصة على تنظيم الفعاليات والندوات المناهضة لخطاب الكراهية وكيفية التعامل مع الأخبار الكاذبة والتحقق منها وكذلك تدريب الشباب على أساليب الإعلام الحديثة.

✉ info@targetplatform.net 🌐 targetplatform.net 📺 targetplatformarabic

☎ 00491786062976

🐦 targetarabic

📷 targetplatformarabic